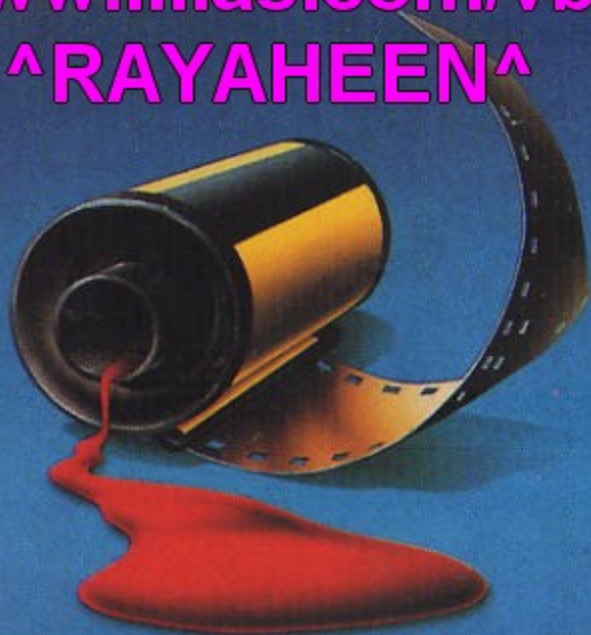


ارسيڻ لويڻ

الخطر الهائل

www.liilas.com/vb3

^RAYAHEEN^



مغامرات "أرسين لوبين"

● نو الشخصية الفذة في اقتحام عالم الجريمة وكشف مرتكبيها وتقديمهم للعدالة، وصاحب المغامرات المثيرة المعروف لملايين القراء في جميع أنحاء العالم، والذي ذاعت شهرته حتى تفوقت على كل الشخصيات البوابيسية التي تصور الجريمة وتحللها وتكشف عن مرتكبيها.

هذا البطل (أرسين لوبين) يتميز بالنبل والشرف والشهامة فهو لا يهدف من مغامراته إلى الثراء وكسب المال أو للثأر والانتقام من خصومه، وإنما يكرس حياته للكشف عن الجريمة وتعقب الجناة وتقديمهم للعدالة.

إنه اللص الشريف الذي يمتلئ قلبه بالحب والخير للناس. وخاصة البائسين والفقراء حيث كان يخصص بعطفه وإحسانه ويتبرع بكل ما يحصل عليه من الأثرياء البخلاء واللصوص الجشعين للجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والإحسان.

وقد تحدى هذا البطل (أرسين لوبين) رجال الشرطة وكبار المفتشين الخصوصيين في عصره في أوروبا وأمريكا حتى أطلق عليه لقب الرجل ذي الألف وجه وهيئة حيث كان يجيد التنكر ويظهر في شخصيات متعددة.

الفصل الأول

صعد أرسين لوبين إلى ظهر الباخرة "برابانت" من ميناء "دوفر" قبل إبحارها بدقائق معدودات .. وانطلق إلى قمرة رأسا حيث اعتكف بها دون أن يفتن إليه أحد ..

كان قد قضى بضعة أشهر في إنجلترا .. واعتزم فجأة أن يعود أدراجه إلى أمريكا للاستجمام والتماس الراحة من عناء الأعمال !!

وقد حرص على أن يتناول طعامه في قمرة ، ولم يصعد إلى سطح الباخرة إلا غرارا ، فاثار ذلك فضول المسافرين وراحوا يتسألون عن شخصيته وعن الدافع الذي يحده إلى هذه العزلة ..

وتصادف أن ذهب لوبين إلى ملعب "الجمباز" في صباح اليوم الثالث من بدء الرحلة .. قتحده المدرب ، حيث كان عملاقا أعزل شديد المراس .. ولم يطق صبورا على قحة الرجل ، فقبل التحدي ، واشتبك الاثنان في ملاكمة رهيبة أسفرت عن هزيمة المدرب هزيمة منكرة ..

ولكن سرور لوبين بالنصر على هذا المدرب المتعجرف ما لبث أن تلاشى عندما عرف من أحد خدم الباخرة أن هذا المدرب ما هو إلا أحد رجال البوليس السري .. وقد استقل الباخرة لمراقبة بعض المحتالين من محترفي لعب الورق ..

غاص قلب أرسين لوبين بين جنبيه ، وأدرك أن الرجل سعى متعمدا إلى الاحتكاك به .. وأخذ يتساءل هل يعرف المدرب "ويلز" شيئا عنه وأراد مناوآته لغرض في نفسه ؟ ..

ولم تقتصر متاعب لوبين عند هذا الحد .. فبينما كان يجلس في قمرة ، وهو يدخن غليونته .. إذ رأى أمين حسابات الباخرة يمر في الدهليز الخارجي .. ثم يتوقف ، ويتطلع إليه متاملا .. شأن الرجل حين يرغب في مجاذبة آخر أطراف الحديث .. قال الرجل بغتة :

- خيل إلي أنني شممت رائحة تيغ فرجينيا .. وأنا مولع بتدخين هذا النوع .. فهل تسمح ؟

فقال لوبين في بشاشة :

- تفضل على الرحب والسعة .. اجلس ، واملأ غليونك من هذا

- أكبر الظن أنك تنعم برحلة ظريفة .. ؟

- بغير شك .. ولو أنني اعتدت أن أسافر في البواخر الكبيرة لما تمتاز به من وسائل الراحة ..

فقال أمين الحسابات :

- إن هذه الرحلة بمثابة عطلة لي .. فقد اعتدت أن أسافر في البواخر الكبيرة في غضون السنوات العشرين الأخيرة .. فعلاقت بخمسين رحلة على ظهر الباخرة "بواتانيا" .. ولكنني اضطررت إلى قبول هذه الرحلة لأن أمين حسابات الباخرة مريض ..

وفجأة لاحظ أمين الحسابات أن محدثه اختار له مقعدا مواجهها للباب بحيث يسقط الضوء على وجهه .. بينما جلس هو على مقعد في الظل .. فاغتاظ .. ولكنه قال محاولا التسرية عن نفسه :

- إن هذه الباخرة ، على الرغم من صغرها ، مدرسة للتعلم في فلسفة الحياة لأنها خاصة بعدد كبير من مختلف الأجناس .. لكن لا أحسب أن هذا الحديث يشوقك لأنك حريص على عزلتك وانفرادك .. أوه .. لقد درست الحياة دراسة واقية .. ولم تعد بي حاجة إلى المزيد ..

وتدرج الحديث بين الرجلين إلى الجرائم والمجرمين .. فقال أمين الحسابات :

- مما يؤسف له حقا أن مناصبي ، وإن خولني أن أشاهد بداية إحدى المغامرات ، فإنه لا يتيح لي شهود بقية فصولها .. فسأله "لويين" مداعبا :

- وهل شياهدت الفصول الأولى لعدد كبير من الماسي على ظهر الباخرة "براينت" ؟ ..

- ربما .. على أن الظواهر تشير إلى أننا قد نشاهد قريبا مأساة مروعة ، فإن أحد رجال البوليس السري يعاني - حاليا - عينا زرقاء متورمة بعد أن قضى يومين وهو يحاول عبثا أن يستدرج أحد المسافرين إلى الحديث .. ولعمري كم أود لو استطعت بوسيلة ما أن أقرأ ما يجول برأس رجل البوليس في تلك اللحظة ..

وفي التو أدرك "لويين" أن أمين الحسابات إنما أراد التحدث إليه للوقوف منه على تفاصيل المعركة التي دارت بينه وبين "ويلز" ..

وعلى الرغم من القلق الذي انتابه .. فقد قال في هدوء عجيب :

- لماذا لا تذهب إليه وتسأله عن ذلك ؟ .. لاشك أنه سيسره أن يدلي إليك بكل شيء .. !

فقال الرجل :

- قد أ فعل ذلك .. ولو أنني ربما خرجت من أسطلي صغر اليدين .. كما يحدث في غالبية الماسي التي تبدأ على ظهور البواخر ، فطالما أفضت إلي بنتائج تافهة .. مثال ذلك ما حدث ذات يوم في الباخرة بواتانيا عندما ألت مرساها في ميناء ليفربول .. ذلك أن شابا كان يشغل أحد أجنحة الدرجة الأولى ، ترك أمتعته ووثب إلى الأرض من فوق سطح السفينة .. وقد ذهبت الأقوال في تفسير تصرف الشاب شتى المذاهب .. فمن قائل إنه لص ورأى أحد رجال البوليس السري فلاذ بالفرار .. وذهب آخرون إلى القول بأنه كان يخشى القبض عليه لسبب ما .. وهلم جرا .. بيد أنني ما كدت أبرق إلى إدارة الشركة حتى علمت أن الشاب قدم لهم عذرا مقبولا عن تصرفه إذ زعم أنه رأى قريبا له كان قد غاب عنه زهاء السنوات العشر فوثب إلى الأرض ليلحق به .. فغمغم "لويين" :

- إن هذا الشاب سعيد الحظ حقا لأنه لم يدق عنقه ..

- إن حسن الحظ كثيرا ما يخدم صاحبه على حساب العدالة ..

فقطب "لويين" حاجبيه .. وقال :

- تخيل إلي أنك تصر على أن الشاب مجرم على الرغم من انعدام الأدلة على إجرامه ..

- يجوز .. إنني لا أزال أعتقد أنه قد حان الوقت الذي أعرف فيه الحقيقة .. ومال الرجل في مقعده .. واستطرد :

- والأز .. هل لك أن تخبرني يا مستر "مارتن ديل" لماذا جازفت بالوثوب من فوق سطح الباخرة في تلك الليلة .. !

الفصل الثاني

اجفل 'لوبين' .. ولكنه سيطر على شعوره في الحال . ثم قال في هدوء :

- اه ! لعمرى لقد كدت انسى الحادث لتفاهته اولا ولانقضاء وقت طويل على وقوعه ثانيا . ولكن يبدو انك لا تزال تذكره جيدا . وانه لعجيب حقا انك لم تقتنع بما اقتنعت به شركتك ..
- إن الشركة لا تعرف ما اعرفه . فاننا مثلا اعرف قصة الكابتن 'ساتون' ..

كانت هذه الكلمات بمثابة قبيلة القاها الرجل .. ذلك ان الكابتن 'ساتون' كان واحدا ممن يعلمون - وهم قلة في أمريكا - ان 'مارتن ديل' هو 'آرسين لوبين' ..
غمغم 'لوبين' مشدوها :

- الكابتن 'ساتون' ؟ هل تتحدث عن ضابطي السابق في الجيش ؟
- إنني اتحدث عن الكابتن 'فرانك ساتون' الذي رأيته على ظهر الباخرة 'بواتانيا' ، قوثبت إلى الأرض لتجنب لقاءه .
فصاح 'لوبين' :

- على ظهر الباخرة 'بواتانيا' ؟ .. هل أنت واثق مما تقول ؟ ..
- يبدو انك نسيت انني كنت امين حسابات الباخرة وقتئذ ؟ .. لاذ 'لوبين' بالصمت .. لانه لم يستطع ان يجد سببا معقولا يحدو الكابتن 'ساتون' إلى خرق وعده بان يلزم الصمت فيما يتعلق بالماضي .. بعد ان نزل كلاهما من الآخر منزلة الصديق الوفي ..
قال بعد قليل :

- مهما يكن يا سيدي .. فإني لم اتشرف بعد بمعرفة اسمك ..
- اسمي 'وارن' .. 'برانتون وارن' ..
- إذن اصغ إلي يا مستر 'وارن' .. عندما اقول إنني لم اكن اعلم بوجود الكابتن 'ساتون' على ظهر الباخرة فإنني اقرر الحقيقة فلو اني كنت اعرف انه بين ركاب الباخرة لسرني ان اقبله . اما وثوبي فيرجع إلى انني سمعت صوت رجل يناديني من الشاطئ ، ولما كنت مدينا

لهذا الرجل بحياتي ، فقد وثبت للقائه ، وأقسم لك بشرفي أن هذه هي الحقيقة المجردة من كل زيف ..

- قد تكون صادقا كما قد لا تكون .. مهما يكن .. فقد أقام الكابتن 'ساتون' من نفسه محاميا عنك .. وأخذ يدحض أقوال المسافرين .. بل لقد كاد يببطش بأحدهم عندما أصر على أنك لص هارب من وجه العدالة ..

فقال 'لوبيين' باسمي :

- لك الله يا 'ساتون' .. لقد كان دائما نعم الصديق المخلص .. وأرجو أن تتاح لي الفرصة في أحد الأيام لأوفيه حقه من التقدير

فتامله أمين الحسابات مليا .. وقال :

- لم يكذب من قال إن الطيور على أشكالها تقع ! كذلك المجرمون يحنون إلى بعضهم البعض ..

فتطاير شر الغضب من عيني 'لوبيين' .. وصاح :

- لو نطقت بكلمة واحدة ضد الكابتن 'ساتون' فسابطش بك ... فقال محدثه في هدوء عجيب :

- هل دار بخلدك أن حماسة الكابتن 'ساتون' في الدفاع عنك هي التي حولت اهتمامي إليه .. لو أنني كنت في مكانك لفكرت مليا قبل أن أخف للدفاع عن مجرم ..!

- مجرم .. ١٩

- عندما بلغت الباخرة 'يوثانيا' المرقا .. ألقى القبض على صديقك الكابتن .. وهو الآن في سجن 'سنج سنج' ..

فصاح 'لوبيين' مشدوها :

- أحقا ما تقول ؟

- لقد رأيته عند إلقاء القبض عليه .. وقرأت في الصحف نبأ الحكم عليه بعد أن وجهت إليه تهمة التبييد والشروع في القتل .. صعق 'لوبيين' من هول النبأ .. ولم يستطع أن يصدق أذنيه في بادئ الأمر .. فهو يعلم أن 'ساتون' من أرباب الثروات الضخمة والمراكز المحترمة فكيف يمكن أن توجه إليه تهمة التبييد ١٩ .. واستطرد أمين الحسابات :

- ومستر 'ويلز' هو الذي قبض على 'ساتون' .. وجمع أدلة إدانته .. فلما رايت اهتمام 'ويلز' بامرك .. تذكرت دفاع 'ساتون' عنك .. وبدأت الشكوك تساورني .. وقد اشتدت هذه الشكوك عندما رأيتك تهب للدفاع عن 'ساتون' ..

فابتسم 'لوبيين' وقال :

- إنني بغير شك مقدر لموقفك ولو كنت في مكانك لساورتني نفس الريب .. لكن هل معنى ذلك أنك تعمل لحساب 'ويلز' ضدي ؟

فاجاب 'وارن' :

- لا .. فأني أكره 'ويلز' .. وقد سررتي أنك نكلت به ... وبودي لو استطعت إن تدلل لي على خطأ ظنوني نحوك .. فليست أكتفك أنني أشعر بكثير من العطف عليك ..

فسري عن 'لوبيين' قليلا ، ثم قال :

- إذا أردت الدليل على أنني رجل محترم ، فها هو ..

ونفض إلى حقيبته وأخرج منها إطارا نفيسا يحتوي على صورة كهل وقور .. وعرضها على 'وارن' قائلا :

- هل تعرف من هذا ؟

فتامل 'وارن' الصورة .. ثم هتف مبهوتا :

- هذه صورة 'إيرل أوف روز كارل' وزير خارجية إنجلترا ..

فأخرج 'لوبيين' الصورة من الإطار .. وأدارها .. وأشار إلى العبارة التالية المسجلة فوقها :

إلى صديقي العزيز الكريم 'مارتن بيل' ، تذكرا مودة واعتراف بالجميل :

ثم قال :

- لقد كان الرجل الذي ناداني من فوق الشاطئ ابن 'إيرل أوف روز كارل' وإنني مدين لهذا الشاب بحياتي ، فهل تعجب إذن إذا وثبت لثيبتة ١٩ إذا كنت لا تزال على ريبك فأكتب إليه مستفسرا ..

وكانما اقتنع 'وارن' بما رأى .. إذ هتف :

- بل إنني واثق يا سيدي من صدقك .. ويؤسفني أنني أزعجتك بتفطلي .. فأرجو المعذرة ..

الفصل الثالث

وقفت السيارة الأجرة امام منزل أنيق في حي 'سنترال ويست بارك' فهبط منها 'لويين' ، وتقدم من الباب ووضع المفتاح في ثقب سري ، وأداره ، ثم دفع الباب ، ففتح ونقل حقالبه إلى الردهة .. ثم عاد فأغلق الباب .. وتطلع حوله .. فالقى كل شيء في موضعه كما تركه يوم رحيله إلى إنجلترا .
كانت خادمته مسز كيني تأتي إلى المنزل مرة كل أسبوعين لتقوم بتنظيفه وتهويته .

وما كاد 'لويين' يستقر على أحد المقاعد في غرفة مكتبه .. حتى شم رائحة قهوة تملأ جو الغرفة .. فعجب لذلك أيما عجب ، ونهض مسرعا وراح يتنقل بين الغرف باحثا عن مصدر هذه الرائحة ، وما كاد يقترب من المطبخ حتى سمع وقع اقدام بداخله ..

فتقدم من بابه بحذر شديد .. ورأى رجلا جالسا إلى المنضدة وظهره إلى الباب ، وكان يرتدي معطفا منزليا من معاطف 'لويين' . ويطالع إحدى صحف المساء وأمامه قدح من القهوة الساخنة .. ومدية فضية .. بينما لاحظ انتفاخ أحد جيبي المعطف .. فأيقن أن المتطفل يحمل مسدسا .

وابتسم 'لويين' .. وقال في هدوء :

- لماذا لا تجلس في غرفة المائدة يا صاح ؟

فوضع الرجل القدح في بطنه . ثم قال في احترام دون أن يلتفت خلفه :

- ادخل يا مستر 'ديل' .. كنت أنتظر قدومك منذ امد بعيد .

فدهش 'لويين' .. وولج الغرفة .. وتامل وجه محدثه .. فأيقن من فورهِ انه لم يسبق له أن رأى هذا الوجه .. وأشار الغريب إلى 'لويين' بالجلوس .. ثم راح يحتسي قدح القهوة على مهل .. فلما فرغ منه ، نهض واقفا .. وقال :

- دعنا نذهب الآن إلى غرفة الجلوس لنحدث في المشكلة التي تواجهك .. وهي لماذا وكيف جئت إلى هنا ؟ .. وما تأثير وجودي عليك؟

وانبعث واقفا .. ثم استاذن وانصرف .

وبقي 'لويين' وحيدا ، وقد خلفته صدمة الحكم على صديقه 'ساتون' مضعضع الحواس .. شاردا الفكر .

كان الرجل يتكلم في هدوء عجيب .. آثار استغراب "لويين" .. فقال:
- قد يكون تأثير وجودك حافزاً لي على استدعاء رجال البوليس
للقبض عليك .

فلم يجب المجهول .. وغادر الغرفة بخطى مطمئنة . فلما جلسا في
غرفة الجلوس قال الرجل :

- قلت إن وجودي قد يدعوك إلى استدعاء البوليس ... ولكنني
انصحتك بالافتعال ... لأن تحقيق البوليس سلاح ذو حدين ، قد يسيء
إلى المبلغ أعظم مما يسيء إلى المجرم .. فقي استطاعتي أن أثير الريب
حولك .. وأطالب بالتحقق منها .. وعندئذ سترغم على سلوك احد
سبيلين . فإما أن تعترف بها أو أن تعمل على دحضها فلو اعترفت
بصحتها فستهلك حتماً .. ولو عملت على دحضها فستزداد الريب في
شأنك لأنني سأدعم أقوالي بالحجج والبراهين .

فتعاب "لويين" متظاهراً بعدم الاكتراث .. وقال في لهجة صارمة :
- هذا محتمل .. ولكن البوليس سيرجح بغير شك أن الياس هو
الذي دفعك إلى تفتيق التهم ضدي .
فاجاب الآخر في بساطة :

- هذا محتمل أيضاً .. ولكن الذي لا شك فيه هو أنه سيتعذر عليك
أن تقنعه بأنك رجل نزيه !! وفوق ذلك . فإنني أعلم من أملك ما يعلمه
أحد .. وفي استطاعتي أن أملا اعمدة الصحف بمغامرات (أرسين
لويين) .

فأجفل "لويين" ، وعجب كيف عرف هذا الرجل شخصيته ؟ ولكنه لزم
الصمت .

فقال الغريب :

أظن أن كليتا قد فهم صاحبه ، إذن علينا ألا نقحم البوليس في
أحاديثنا . ولنتحدث كصديقين . وإني ، من جانبي أقدم لك هذا
المسدس عربوناً على صداقتي وحسن نواياي ..

وأخرج مسدس "لويين" من جيب المعطف . وقدمه إليه .. فقال
"لويين" :

- ثق أنني لن أجا إلى استعمال العنف .. ولكنني مصر على أن

أعرف معنى استباحك منزلي وثيابي .. وما الذي تريده ؟

فقال الغريب بغير قليل من البرود :

- هذا حق مشروع .. حسناً . أنت لا تستطيع بالتأكيد أن تنكر أنك

أرسين لويين أمير اللصوص .. و ..

وراح يسرد مغامراته .. وأخيراً قال :

- وقد كشف "دفلين" سرّك .. وصارح به رئيسه ..

وجمد "لويين" في مكانه مشدوها . وراح يتساءل كيف عرف هذا

الرجل الغامض هذا القدر من تاريخ حياته ؟

وقال :

- لقد مرّ "دفلين" اتهامه قبل أن يموت ..

- ولكنه لم يمزقها قبل أن تقرأ وتستوعب .. لقد كان رئيسك في

الجيش محامياً ، رجلاً عركته الحياة ، فاحتفظ بمحتويات الوثيقة
مسجلة في ذاكرته .

ولم يبق لدى "لويين" شك في أن "ساتون" هو الذي وشى به . !

- إذن فقد وشى بي "ساتون" ؟ !

- إنك مخطئ يا "لويين" .. إن "ساتون" ليس عدوك .. ومن الظلم أن

تلقى اللوم أو التبعة عليه .

- ولكنه نكث العهد الذي قطعته لي ! الحق أنني لا أكاد أفهم الموقف

على حقيقته ..

- أصبت .. ولكنك حين تفهمه سوف تعطف عليه كل العطف .. إنك

بغير شك تعلم أن "ساتون" رجل واسع الثراء ولكنه الآن خاوي الوفاض

محكوم عليه بالسجن عشرة أعوام .. ولم يعد يعرف باسم الكابتن

"ساتون" .. وإنما أصبح رقماً بعد أن كان إنساناً مبعجلاً ..

- مهما يكن ، فهو قد وشى بي إلى رجل غريب .. ولا يبعد أنه أفضى

بسري إلى كثيرين أنت من بينهم .

- أنا فقط الشخص الذي يعرف بما كانت تحتوي عليه وثائق "دفلين"

لأنني الأخ الأكبر والأوحد لصديقك .. أنا "كاميل ساتون"

فسري عن "لويين" ، ولكنه حرص على أن يظل وجهه جامداً ، ثم قال :

- لم أكن أعرف أن له أخاً ..

- هذا معقول ، فإنني لم أكن أقابل 'فرانك' إلا غراراً حتى وقعت
الكارثة .. إذ إنني على نقيضه .. أميل إلى العزلة والإنكباب على الكتب .
ففكر 'لويين' قليلاً .. ثم قال :

- ولماذا جئت لمقابلتي ؟

- جئت لأسالك بحق الصداقة التي بينك وبين أخي أن تبادر إلى
إنقاذه .. لقد لجأ 'فرانك' إلى من كان يحسبهم أصدقاء مخلصين
ولكنهم تخلوا عنه جميعاً في محنته .. وصدقوا ما قرعوه في الصحف
. وعندئذ فكر في الالتجاء إليك وطلب إلي أن أذكر لك ما ذكرت ..
فقال 'لويين' في حماس :

- وما نوع الخدمة التي يمكن أن أقدمها إليه ؟ إن أردت مالا ..

- لا . لست في حاجة إلى المال .. إنني أريد شيئاً لم أجده بعد عند
الأصدقاء .. لقد اختارك أخي لأنه يعتقد أنك الوحيد الذي لن يعرض
عنه .. أو يرفض الأخذ بيده .. ولكنني أرى قبل أن أزجي إليك بالمهمة
التي يريد أخي أن ينيطها بك ، أن أتحدث عن أسباب سجنه .. فهل
تعرفها ؟
فقال 'لويين' :

- لقد سمعت أنه اتهم بالتبديد والشروع في القتل .

- لقد أدانته القاضي والمحلفون بحجة أنه قدم نقوداً أوتمن عليها
لتغطية بعض الخسائر .

- ولماذا ارتكب جريمة الشروع في القتل ؟ وهل ثبتت إدانته ؟

- إنه لم يحاول أن يقتل 'جرانت' .. إنه فقط أراد أن يجرحه .. بعد
أن ثبت له أن الرجل الذي وثق به .. وأولاه كل عطفه وورعايته قد خانته ..
لقد كانت مسز 'ساتون' امرأة رائعة الجمال تحب المرح . وكان أخي
يمدها بأمالٍ بسخاء . وكان من حسن تقديره لها . وثقته بها . يعتقد
أنها ستظل على إخلاصها له عندما اضطر إلى السفر إلى أوروبا
لدواعي الحرب .. ولكنه كان يتوهم أنه قد لا يعود . ومن ثم نقل كل
ثروته تقريباً وجعلها باسمها . وذلك ليبرهن لها على مدى حبه
وتقديره . إنها ليست بالقصة المستحبة يا مسز 'لويين' .. (وتنهّد) .
يا إلهي !.. لقد تنكرت المرأة لأخي . وضربت بحنانه وجهه عرض الألق

عندما بدأ حب 'بايسون جرانت' يغزو قلبها . ولما كان هذا الشاب
المستعتر ، مشرفاً على جميع شؤون أخي العملية فقد أخذ يعمل على
تحطيمه والقضاء عليه .

ففكر 'لويين' قليلاً .. ثم قال :

- إن عطف الجمهور في مثل هذه المناسبات يكون مع الزوج المثلوم
الشرف .

- من سوء الحظ أن أخي تولى الدفاع عن نفسه . ولكنه ما كاد يرى
'جرانت' في قاعة المحكمة حتى جن جنونه . ونسي نفسه .. فاهان
القاضي .. وأخذ يتوعد 'جرانت' بالقتل .. فأساء إلى نفسه . وحكم
عليه المحلفون بالسجن عشرة أعوام . وهو حكم بسيط إذا قورن بما
كان عليه أخي من هياج وجنون .. إنني لا أزال احتفظ بتفاصيل
المحاكمة كما نشرتها الصحف .. وأريدك أن تقرأها ..

فاستولى الأسي على 'لويين' وقال :

- وما حالته العقلية الآن ؟

- إنه يبذل جهوداً جبارة ليجمع أدلة تمكنه من تقديم طلب جديد
لإعادة المحاكمة ..

- لا ريب أن ذلك ليس بالشيء الهين ؟

- إن وجوده في السجن يجعل ذلك عملاً مستحيلًا عليه .. كما هو
مستحيل علي لأنني رجل ضعيف الحيلة محدود السبل ..

وفي الحال أدرك 'لويين' الغرض الذي جعل هذا الرجل يحتل منزله
في غيبته .. فمال إلى الأمام في مقعده وحدق إلى وجهه ثم قال :

- إنك أخوه الوحيد كما قلت .. فهل تخشى أنت أيضاً العدالة ؟

فقال الرجل في رزانة :

- ليس في حياة كامبل ساتون ما يخشاه .

- إذن ما الذي يحدو رجلاً شريفاً إلى دخول البيوت من غير
أبوابها ؟

- هناك سببان . أولهما أن باب منزلك استعصى علي . وثانيهما
أنني كنت أتوقع أن يضعني 'بايسون جرانت' تحت المراقبة الدقيقة ..
لأنه يعلم أنني أقسمت أن أجعله يدفع ثمناً غالياً لفعلته .. فليس

بعجيب أن يراقبني ..

وبعد فترة صمت .. استطرد 'كامبل' :

- لنعد الآن إلى حديثنا الرئيسي .. لقد جئت لأطلب إليك أن تعمل للحصول على اعتراف شامل من 'بايسون جرانث' بأن أخي بريء .. وبذلك يتاح له أن يظفر بعفو ..

فقال 'لويين' :

- أهذا كل شيء ؟ لا أظنك تعتقد أن 'جرانث' سيرضخ .. بعد أن منحه القانون عشر سنوات لينعم فيها بممتلكات أخيك المسروقة.

- ليس من سبيل آخر لإطلاق سراح أخي .. إنني أعلم أن دون الحصول على هذا الاعتراف مصاعب جمة .. ولكن ثقة أخي فيك هي التي تحملني على الاعتقاد بأنك ستحقق أمله .. فهل تتخلى عن رجل بريء يستغيث بك ؟

ولاحظ 'كامبل' تردد 'لويين' .. فقال له في لهجة صارمة :

- إما الإذعان .. وإما السجن ... !! فأيهما تفضل ؟

فتقلصت عضلات وجه 'لويين' .. وصاح :

- رويداً يا هذا ! أنا لست ممن يذعنون للوعيد .. ولو شئت لأطلقت عليك النار وقلت إنني قتلتك دفاعاً عن نفسي .. ولكتي لن أفعل .. بل وساعمل على إنقاذ أخيك من محنته اعترافاً بجميله السابق .. وتوثيقاً لما بيننا من صداقة .

فصاح 'كامبل' في ابتهاج شديد :

- لقد كان أخي يعتقد أنك لن تتخلى عنه .. والآن أصغ إلي .. لقد شفيت حديثاً من مرض عضال .. ولم يسمح لي طبيبي الخاص إلا برياضة محدودة .. أما وقد جئت فساغتفك في غرفة معتمة طبقا لنصائح طبيبي .. ثم إن وجود أغراب في المنزل أمر غير مستحب ..

فتلفت 'لويين' حوله ولكنه لم يجد أثراً للدواء .. وعندئذ قال 'كامبل' :

- إنهما عيناها هما موضع اهتمامي .. لأن انهماكي في المطالعة قد أصابهما بضعف شديد . وقد نصحتني الطبيب ألا أتعرض لضوء النهار الساطع .. والآن .. أظن أن واجبي يحتم علي أن أسالك ما السبيل الذي ستسلكه للحصول على الاعتراف المنشود ؟

فقال 'لويين' وهو يحس نفورا شديدا نحو الرجل :

- لقد خاب فالك .. فما أنا بالرجل الذي يطلع الآخرين على خطئه ، أو يستشيرهم فيما يعتزم الإقدام عليه . إنني دهش لتصرفاتك الشاذة يا سيدي .. ولا أكتفك أنني ساصارح الكابتن 'ساتون' بذلك عندما أراه .
- اتعني أنك تعتزم زيارته في السجن ؟

- هذا مؤكد .. إذ ما الذي يعنني من زيارته ؟

- إنه لا يريد منك الذهاب إليه .. لقد تحدثنا في الأمر .. وراينا أن نحول بينك وبين هذه الزيارة لئلا يراك عيون 'بايسون' الذين بهم - ولا ريب - في السجن ليوافوه بأسماء زائريه بعد التهديد الذي بدر منه في أثناء المحاكمة . واطننتي قلت لك إنني التجأت إلى منزلك هربا من هؤلاء الرقباء ... وما من شك في أنك ستفقد زمام الموقف إذا رآك جواسيس 'بايسون' تتحدث إلى أخي . فاختر لك سبيلا آخر غير الاتصال بـ'فرانك' .

وبعد قليل من التفكير أجاب 'لويين' :

- حسنا .. أكبر الظن أنك تعرف كل شيء عن 'جرانث' ؟!

- نعم ..

وأعقب ذلك حديث طويل استمر حتى منتصف الليل .

وعلى أثر هذا الحديث غادر 'لويين' المنزل على أن يعود إليه في الصباح .

الفصل الرابع

بعث 'لوبيين' برقية إلى خادمته مسز 'كينى' يطلب إليها تاجيل حضورها . ثم انطلق إلى إحدى شركات السيارات وطلب أن يتفرج على سيارة توطنة لشرائها .. فلما أعجبته واحدة ، استأن في تجربتها . فاذنوا له ..

واستقل 'لوبيين' السيارة ، وانطلق لمقابلة رجل يدعى 'دافيد مور' وهو رجل كان في يوم ما موظفا في أحد محال الاثاث المشهورة . ولكنه فقد وظيفته عندما أغلق الحانوت ابوابه .. فعطف عليه 'لوبيين' . وفتح له حانوتا على مقربة من الميناء .. ولكنه ما لبث أن توسم فيه مخايل الذكاء . فكان يعهد إليه بمهام خاصة للتحري عن بعض الأشخاص الذين يعترضونه في مغامراته .

واوقف 'لوبيين' السيارة أمام الحانوت . وسره أن رأى مظاهر الحركة ناشطة فيه .

وكانت ابنة 'مور' الكبرى منهمة مع صبي في حديث حاد ، بينما جلس أبوها يطالع إحدى الصحف ويدخن .

وما كاد 'مور' يرى 'لوبيين' حتى وثب واقفا على قدميه ورحب به بحرارة .

ودعاه 'لوبيين' إلى جولة بالسيارة . فقبل مسرورا .. وبعد أن قطعنا شوطا بعيدا قال 'لوبيين' :

- إنني في حاجة إلى معونتك .. هل في استطاعتك أن تذهب إلى أسبوري لمدة أسبوع .

فقال 'مور' في حماسة :

- نعم . إنني على استعداد يا مستر 'ديل' .

- بديع .. لقد ابتاع 'بايسون جرانث' قصر 'ججنسوهرن' في 'ديل بيتسن' حديثا . إنني أريد أن أعرف كل شيء عن 'جرانث' هذا .. عاداته

أخلاقه .. أصدقاؤه . وكيف يقضي وقته ؟ وكم عدد الخدم الذين ينامون داخل القصر ؟ وما أسماؤهم ؟ إلى غير ذلك . وإليك مائة ريال كدفعة أولى لنفقاتك . ولعله من الحكمة أن تزور مؤسسة 'ساتون

ومرتون في شارع 'برود' رقم ٢٨ قبل أن ترحل إلى 'ديل بيتسن' .. لقد كان 'فرانك ساتون' ضابطي ، وهو مسجون حاليا في 'سنج سنج' . فاستدج احد موظفيه القدماء إلى الحديث عنه . وعن اخيه 'كامبل' ، وحاول أن تعرف منه إن كانوا يعتقدون أن سجنه بحق أم ليس كذلك .. فسجل 'دافيد مور' الاسماء في مذكرته . ثم سال :

- بمن ابدأ أولا ؟

- ابدأ بالآخوين 'ساتون' . وانبئني بما ستستخلصه عنهما قبل انتقالك إلى 'ديل بيتسن' . لست أريد تفاصيل محاكمة 'فرانك' . لأنني لملم بها .

وبعد أن أعاد 'لوبين' صديقه 'مور' إلى حانوته .. انصرف إلى مقابلة صديق آخر له يدعى 'كلارك' ، وهو صحفي قديم ، اخنى عليه الدهر . ولكنه وجد في 'لوبين' نعم المعين . واستقبلت مسز 'كلارك' 'لوبين' في حماسة وترحيب . فلما سألتها عن زوجها أجابت :

- إنه معتكف في غرفته بالطابق العلوي ، يكتب مؤلفا جديدا .
- وهل استطيع مقابلته ؟
- بغير شك .. فقد كان إلى وقت قريب يتسائل عن الباعث لك على هذه الغيبة الطويلة .

وقادته السيدة إلى غرفة في الطابق العلوي .. وطرقت الباب .. وما كاد زوجها يفتحه ويرى 'لوبين' ، حتى عانقه .
وابتسمت المرأة . وانصرفت لسانها .

وبعد أن تبادل الرجلان حديثا طويلا في شتى الشؤون .. أدار 'لوبين' دفة الحديث إلى قضية 'فرانك ساتون' .. ثم قال :

- إن ضابطي السابق في الجيش هو الذي حكم عليه بالسجن عشر سنوات بتهمة التبييد والشروع في القتل واسمه 'ساتون' .. فهل قرأت تفاصيل هذه القضية ؟

- أوه . لقد قرأت كل سطر كتب عنها .. فقد عرفت أبا 'ساتون' عندما كان عضوا في مجلس مقاطعة 'جورجيا' . ولو اني لم أقابل أفراد أسرته .

- وما رايك في الحكم ؟

- لقد نعت 'ساتون' القاضي بالظلم .. ولقد كان معذورا إذ فقد سلطانه على نفسه . فقد وجهوا إليه تهمة استعمال القسوة مع زوجته . وهي تهمة باطلة بغير شك .. ولكنها لم تخفف من جرمه لإهانة القاضي وقذفه بالظلم .
فقال 'لوبين' :

- لقد كان 'ساتون' مخلصا لزوجته يا 'كلارك' ، وصدقني أن هذه المرأة الفاجرة لا تستحق أي عطف أو شفقة .. وما من ريب في أن 'بايسون جرانت' هو الذي لفق له هذه التهم ليزج به في السجن ، ويفوز بثروته وامراته معا .. إنني واثق من أن زوجة 'ساتون' هي التي شجعت على الرحيل إلى فرنسا ليخلو لها الجو .. وليس على 'ساتون' إذن من لوم إذا كان قد هدد 'جرانت' بالويل والثبور .. هذا وإن كان يشعر بالخوف من الأول ، بيد أنه لا يزال أمامه سنوات عديدة ينعم فيها بما سرقه من الرجل الذي أحسن إليه وأنزله من نفسه منزلة الابن ولقد سمعت أنه ابتاع قصرا فآخرا في 'ديل بيتسن' .. وسينتقل أو لعله انتقل إليه .. ليلهو ويعبث ما شاء له اللهو والعبث في خلال السنوات السبع الباقية من سجن 'ساتون' . وسبع سنوات ليست بالمدة القصيرة .. فقد يموت أحد الرجلين في خلالها ولا يحقق 'ساتون' ثاره ..

فقال 'كلارك' في لهجة التوكيد :

- بل إن أحدهما سيموت قبل ذلك حتما .. ألم تسمع أن 'ساتون' أقسم أن يهرب من سجنه ويقتل 'جرانت' ؟؟
- إن ذلك يسيء إلى مركزه .. وأكبر ظني أن هذا التصريح حمل المسؤولين على وضعه تحت حراسة خاصة مشددة ؟

فتامله 'كلارك' مليا .. ثم هتف :

- أخبرني .. ألا تقرأ الصحف ؟

- صباحا ، ومساء .. لكن لماذا ؟

- أين تعتقد يوجد صديق 'ساتون' الآن ؟

- في السجن بالتأكيد .

فقيهه 'كلارك' ضاحكا ، وقال :-

- كان هناك إلى اسبوعين مضيا ، ولكنه هرب .

فحدق 'كوبين' في وجهه مشدوها .. واحنقه أن يخفي عنه 'كامبل' هرب أخيه .. ولكنه قال في بطه :

- لا بد أنه هرب إبان عودتي من إنجلترا .. إنني لم أقرأ شيئا عن هذا الحادث في الصحف منذ عدت .

- فقال 'كلارك' :

- لا عجب ... فقد طغت قضية طلاق 'كلانسي' على كل نبا آخر .

- لكن كيف استطاع 'ساتون' الفرار ؟

- كان قد أعلن اعتزازه الإضراب عن تناول الطعام كما يفعل بعض

المسجونين الذين يريدون إملاء إرادتهم على المسؤولين . وقد طلب 'ساتون' الترخيص له بمقابلة المتزعم لفريق من الطبيعيين ، أي

الأشخاص الذين لا يتناولون غير ... وجبة واحدة في النهار ، لينضم إليهم . فأسرع الرجل إلى مقابله مغتبطا وبينما كانا

منهمكين في الحديث انقض 'ساتون' على الرجل وصرعه . ثم ارتدى ثيابه ولاذ بالفرار . وقد رآه بعض الأشخاص على مقربة من نادي

هالوا ، الذي كان عضوا فيه ، ولكن سرعان ما اختفى اختفاء تاما .

فضح 'كوبين' في مرح وختف :

- أفعل 'ساتون' هذا ؟ لا .. إنه الآن في مكان أمين .

- من المشكوك فيه أن يفلت من قبضة البوليس لأنهم يعرفون أين يجب البحث عنه ؟ إنه يطارد 'بايسون جرائت' وأكد لك أن الأخير قد أقض مضجعه .

- ولماذا لم يهاجمه حتى الآن ؟ .. إن 'ديل بيتسن' ليس بالمكان الثاني ؟

- إن 'ساتون' يترقب فرصته . فالمنتظر أن 'جرائت' سيتخلى عن حذره بعد مضي قليل من الزمن . ولعل 'ساتون' يتعمد إطالة فترة تعذيبه بتحطيم أعصابه .

- أتعرف شيئا عن أخيه 'كامبل' ؟

- كلا .. هل تعرف أنت شيئا عنه ؟

- قليل لا يعتد به . إنه من طراز أساتذة الجامعات . أرى أن أبادر

الآن بالانصراف لأنني على موعد مهم .

وعاد 'كوبين' أدراجه إلى منزله . فالغى 'كامبل' جالسا في غرفة المكتب وهو يقرأ كتابا .

سال 'كامبل' :

- هل جئتني بإحدى صحف المساء ؟

- لا .. لقد استثنيت زيارتي لسجن 'سنج سنج' كل شيء في الدنيا .

فوضع الرجل كتابه على المكتب .. وصاح مغضبا :

- هل ذهبت إلى السجن على الرغم من تحذيري ؟

- نعم .. أنت تعلم أنني رجل يعمل بوحى من ضميره .. وقد سر

أخوك لرؤيتي ، وبعث إليك بتحيته ، كما اعتذر لي عن تصرفاتك الجافة .

فاطرق 'كامبل' هنيهة .. ثم قال :

- إذا كنت ستعصي أوامري على طول الخط فستسبب لنا كثيرا من المتاعب بغير شك .

- هذه أول ملاحظة معقولة نطقت بها . إن المتاعب التي تتحدث عنها ستبدا من الآن .

- بالتأكيد أنت لم تر أخي لأنه ليس موجودا في 'سنج سنج' .

- سوف يعود إليه قبل انقضاء وقت طويل .. فقد جاء في صحيفة 'إيفنج ورلد' أنهم قبضوا عليه في 'ولنجتون' .. وسيكون في

استطاعتك أن تستأنف زيارته في السجن قبل انصرام أسبوع ..

وحدق 'كوبين' في وجه محدثه .. ولكنه الفاه هادئا جامدا .. بل شد ما راعه أن رآه يبتسم وسمعه يقول :

- هذا ما لا أصدقه .. لأن أخي مختبئ في مكان لا يخطر لأحد ببال .

- ولماذا إذن خدعتني .. ؟

- كان من واجبي أن أفعل ذلك بعد أن أعرب لي 'فرائك' عن رغبته في

أن يظل مكان اختفائه سرا .. ولكن كان في نيتي أن أبوح لك به فيما بعد .. لأن أسباب الحذر كانت تملني علي أن ...

- وأين هو الآن .. ؟

- ليس من العقل أن أذكر لك مكانه وربما فعلت ذلك ، بل وراقفتك

الفصل الخامس

عندما استيقظ "لويين" من نومه في صباح اليوم التالي وجد "كامبل" جالسا إلى المائدة يتناول طعام الفطور ، ويقرأ صحف المساء التي أحضرها له في الليلة السابقة ..

وما كادت الساعة تدق النصف بعد الثامنة حتى رن جرس الباب الخارجي ثلاث مرات .. فاسرع "لويين" إلى غرفة المائدة وقال لـ "كامبل" : - خير لك أن تبادر بالاختفاء ..

فقال الآخر في احتياج ملحوظ : من القادم ؟ ..

- ومن أين لي أن أعرف .. مهما يكن فإنني لا افتح الباب عادة قبل أن أستوثق من شخصية الطارق ..

كان "لويين" قد أحدث ثقباً صغيراً في الجدار الخارجي يمكنه من رؤية الطارقين .. فمضى إلى هذا الثقب وأطل منه .. وعندئذ تنفس الصعداء وعاد ادراجه إلى غرفة المائدة ... وقال :

- هذا صديق .. ولكن من الحكمة ألا يراك ..

كان القادم "دافيد مور" .. وقد قدم الرجل تقريره لـ "لويين" .. ثم استأذن في الانصراف ..

وتمهل "لويين" ريثما انصرف زائره .. ثم جلس إلى مكتبه .. وأخذ يطلع التقرير .. فما كاد يفرغ من قراءته حتى توجه وجهه .. ذلك أن "دافيد مور" ذكر أن موظفي مؤسسة "ساتون" القدامى قد طردوا من العمل .. وأما الموظفون الجدد فكانوا يعتقدون أن مخدمهم الجديد "جرانت" على حق .. بيد أنه استطاع أن يحصل - من امرأة اسمها مسز "مارتا ويلسون" - قضت ثلاثين عاماً في خدمة "ساتون" - على بعض المعلومات التي لا يعتد بها ..

وظل "لويين" على تجهمه .. ثم وضع الغلاف في جيبه .. ونهض عن مقعده .. وشرع في نقل قطع الأثاث من أماكنها .. ووضعها لصق الجدران .. وبذلك ترك منتصف الغرفة خالياً .. إلا من السجادة الثمينة.

- وما كاد يفرغ من عمله حتى أقبل "كامبل" .. فلما رأى ما فعله

إليه بعد أن ترسم خطتك ..

- ولماذا لا تريدني أن أراه .. ؟

- خوفاً من أن تغلب على صلابته وتقنعه بالتسحي عما اعترم .. فإما أن تنقذ شرف أسرة "ساتون" من العار الذي لطخ اسمها أو تنزل ضيفاً على "سنج سنج" بدورك ..

فصاح "لويين" في حدة :

- قلت لك إنني لا أقيم وزناً لتهديداتك ، بل إنني أشعر بنفور شديد منك .. فقد قررت أن أرحل إلى ديل بيتسن لبضعة أيام .. وقد أقابل "جرانت" في نادي الجولف الذي أنتمي إليه ..

فقال "كامبل" :

- لن يكون من السهل أن تلقاه لأنه رجل شديد الحرص .. ولكي تدخل منزله كزائر ينبغي أن تكون صديقاً قديماً .. أو حديثاً .. وبالتأكيد لست احدهما .. ولكي تظهر بصداقته ينبغي أن تكون أحد هؤلاء الذين يعاونون زوجته على الاندماج في الطبقة العالية ، لأن مسز "جرانت" لم تتزوج هذا الشاب إلا لاعتقادها أن في استطاعته أن يهيئ لها سبيل البروز .. ولكي تظهر بصداقتها ينبغي أن يقدمك إليها أحد أصدقائها أو المعجبين بها .. وهذا مستحيل ..

فقال "لويين" :

- لن أحاول ذلك ، إنما الذي سأفعله هو أنني سأرغمها على أن تلتصق بصداقتي ، فإن لي من الأصدقاء ما لو سمعت مسز "جرانت" باسمائهم لطار إليها ، فقد تعرفت بالكثيرين من أرباب الملايين الأمريكيين إبان إقامتي في إنجلترا منهم .. وراح يذكر بعض الأسماء الضخمة فبهت "كامبل" ، ونظر إليه غير مصدق ..

- هذه هي الحقيقة ، وفي استطاعتي أن أقابل بعض هؤلاء بل وأستعين بهم على تحقيق أغراضني .. ولئن دعت الحاجة ، فسأستاجر قصراً في حي "سنترال بارك" الأرستقراطي وبذلك تسنح لي فرصة التقرب من مسز "جرانت" ..

فقال "كامبل" معقياً :

- إذا كنت حقاً تعني ما تقول فما أحسبك ستلاقي صعوبة ما في هذا التقرب ، لأن مسز "جرانت" امرأة مجنونة بحب الظهور والشهرة .. وهي تسعى إلى محققها لها أينما كانوا ..

لوبيين' صاح في اهتمام :

- لماذا نقلت مقعدي من مكانه ؟ ..

- لم تعد بك حاجة إلى استعماله بعد الآن ..

- لماذا ؟

فهمت 'لوبيين' بغضب :

- إنني أعد الحلقة ..

- وما الغرض من ذلك؟ ..

- لتمثيل مأساة ..

- أنا لا أفهمك ..

فاقترب منه 'لوبيين' .. وقال :

- ستفهمني في الحال .. لقد كنت أبغي مساعدة أخيك وفاء لما له في

عنقي من دين .. أما وقد انقلبت الأوضاع .. فلا مفر لك من أن ترفع

يديك في الهواء لأنني سأضربك ضربا مبرحا .. لقد تأكد لي الآن أنه

ليس للكابتن 'ساتون' أخ ولا أخت .. وما أنت إلا دعي مزيف ..

فاستولى الفرع على 'كامبل ساتون' .. وصاح :

- مهلا !

- قلت لك أرفع يديك ..

وجمع 'لوبيين' قبضته .. ولطم الرجل لكمة فنية رائعة فوق أنفه

وشد ما راعه أن رأى سائلا لرجا أصفر اللون يعلق بيده ..

واستدار الرجل الذي كان يطلق على نفسه اسم 'كامبل ساتون' على

عقبه وركض بكل قوته إلى الحمام .. وأغلق الباب خلفه .. وفي الحال

أدرك 'لوبيين' أن الرجل يتخذ وجهها مستعارا كاسمه .. وتذكر المعلومات

الخطيرة التي باح بها لهذا الدعي .. فجن جنونه وأخرج مسدسه من

جيبه .. ومشى إلى الحمام وطرق بابه بمقبض المسدس فصاح

السجين :

- مهلا .. سأخرج في الحال إذا وعدتني بعدم الاعتداء علي حتى

نتحدث ..

- حسنا .. لكن أسرع ..

وعاد 'لوبيين' أدراجه إلى غرفة الجلوس ..

وبعد لحظات فتح باب الغرفة .. ورفع وجهه .. وعندئذ رأى أمامه

وجه صديقه ورئيسه السابق الكابتن 'فرانك ساتون' .. وقال القادم :

- إنني مدين لك بالف اعتذار يا 'لوبيين' ..

فقال 'لوبيين' في اكتئاب :

- نعم .. اظن ذلك ..

وجلس 'ساتون' وقال : لقد كنت أصارك بالحقيقة عشرات المرات

ولكن شجاعتي كانت أبدا تخونني .. لقد قضيت ثلاثة أعوام في 'سنج

سنج' تدربت في خلالها على رسم صورة الاخ الوهمي الذي كنت

انتحل شخصيته منذ قليل .. ثم إنني قضيت الساعات الطوال وأنا

أصغي إلى حديث الدكتور 'ريجواي' إبان إقامتي في السجن

واستطعت أن أقلد صوته ..

فسأله 'لوبيين' :

- ومن هو 'ريجواي' هذا ؟

- إنه الرجل الذي يتزعم طائفة الطبيعيين ..

فلم يتمالك 'لوبيين' نفسه من الابتسام .. وقال :

- أه ا ذلك الرجل الذي صرعه في زَنزانتك ؟ ..

- نعم .. لقد كنت أبغضه من كل قلبي .. تصور ما كان يصيبني لو

أن أنفي الحقيقي هو الذي أصابته لكمتك الساحقة ؟ ..

فانفجر 'لوبيين' ضاحكا .. وقبض على يد صديقه وهزها بحرارة ..

ثم صاح :

- أنبئني كيف استطعت الفرار من سجن 'سنج سنج' ؟ .. وكيف

تكررت على هذه الهيئة ؟ ..

فاوما 'ساتون' برأسه وقال :

- اعتاد الدكتور 'ريجواي' أن يزورني في السجن بين حين وآخر ..

وكنت قد اعتزمت الهرب .. فانتهزت فرصة إحدى هذه الزيارات

وصرعته .. ولكنني حرصت على ألا تؤذيه اللكمة أكثر مما ينبغي ..

ولما كنت قد درست أخلاقه وحركاته جيدا .. فلم يتعنر علي أن أقلد

مشيته عند مغابرتي السجن .. وبعد أن أمنت النجاة انطلقت من فوري

إلى إحدى دور السينما في 'اوسيننج' وغلب النوم جاري فاخذت

قبعته وتركت له قبعة 'ريجواي' .. ثم غادرت السينما قبل أن يستيقظ من نومه ، وكان الغسق قد أقبل فمشيت إلى النهر وهناك وجدت قاربا مشدودا إلى الشاطئ فركبته وقطعت به عدة كيلومترات في نهر 'هدسون' وتركته عند احد اندية التجديف وتسللت إلى النادي .. وهناك استبدلت بثيابي قميصا وبنطلونا خلسة وغادرت النادي بعد ربع الساعة وركبت إحدى سيارات الأوتوبيس إلى 'فورت لي' ..

وفي صباح اليوم التالي سمعت أن أحد استوديوهات السينما في حاجة إلى بعض الممثلين الثانويين .. فتقدمت إلى المدير وعرضت عليه نفسي فاستخدمني باجر قدره خمسة ريالات يوميا ، واستطعت أن اتعلم فن التنكر في غضون ثلاثة ايام وعولت على أن اتخذ لنفسني هيئة جديدة خاصة هي التي رايتني عليها ..

فسال كوين :

- وكيف دخلت منزلي ؟ بل وكيف عرفت موقعه ؟ ..

- اطلعت على عنوانك في دليل التليفونات ولما حاولت فتح الباب استعصى علي فتسللت إلى المنزل من الباب الخلفي ..
- حسنا .. من الحكمة ألا تغادر المنزل مطلقا وساتيك بكل ما تحتاج إليه .

- وإلى أين أنت ذاهب ؟ ..

- سأنفذ أولى خططي واعني بها التقرب إلى 'بايسون جرائت' ..

فهب 'ساتون' رأسه في اسي .. واستطرد كوين :

- والآن حدثني بقصتك بالتفصيل .. قال :

- يرجع تاريخ لقائي الأول بـ 'جرائت' إلى اليوم الذي ذهبت فيه إلى مقاطعة 'سان مارك' وقد تطورت علاقتنا بعمضي الزمن حتى احببته واطماننت إليه .. ولو عرفت كيف كان بيتي لي الشر لأخذت حزري ولأعرضت عنه .. ولقد ذهب اللعين يثير الغبار من حولي ويقول عني شتى التقلبات ويرميمني بالقسوة مع زوجتي وسوء الخلق .. وبدلا من أن يكذب اصدقائي راحوا يعربون عن عطفهم عليها إزاء وحشيتي وقال بعضهم إنه ما كان ينبغي أن اتركها وأسافر إلى أوروبا ..

- من عجب أن لهجتك لا تنم عن الحقد على غريمك .. فهل لم يكذب

حين ادعى بانك حاولت أن تقتله .. ؟

- بل إن هذا الاتهام صحيح .. لإنني ما كدت اعرف خيانتة حتى طاش صوابي .. وكم أشكر ذلك الإلهام الذي حال بيني وبين قتله .. لكن ذلك لا يعني أنني صفحت عنه .

- وكيف أنقذته من السجن .. ؟

- عندما أفلست الشركة التي كان يعمل فيها استخدمته في مؤسستي بدافع من الصداقة التي كانت تربطنا . ولعلك تعلم أنني كنت وصيا على ابنة صديقي الحميم 'موسى' .. وكانت ثروة الفتاة مكونة من ضيعة شاسعة وعدد كبير من الأسهم والسندات .. ولما كنت في حاجة إلى كاتب يشرف على هذه الثروة فقد أسندت هذا العمل إلى 'جرائت' لأكفبه مضاضة التفكير في أنني اعطف عليه لفقره وفاقتة . خاصة بعد أن سمعته يتحدث كثيرا عن الانتحار بعد أن أفلست شركته.

وتوقف 'ساتون' قليلا عن الكلام كأنما امضته الذكريات المريرة .. ثم استطرد بعد هنيهة :

- لقد سرق 'جرائت' مبالغ كبيرة من ثروة القاصر .. فاضطرت إلى دفعها من جيبي الخاص .. وصدقته حينما أعرب لي عن ندمه .. وذات يوم سألني أن اتخذه شريكا في أعمالي .. ولما رفضت ، قال إنني بغير شك لم اصغح عن زلته وإلا لأشركته معي .. وراح يتوسل إلى زوجتي لتحقيق غرضه .. وكانت حتى ذلك الحين تزريه . وتعامله باحتقار .. ولكن اللعين استطاع بأسلوبه المعسول وكلامه المنمق أن يظفر باهتمامها به .. وما لبثت العلاقة بينهما أن تطورت إلى حب عميق انتهى بهذه الكارثة التي حاقت بي .

فقال كوين في لهجة تشف عن الغضب :

- إنك بالتأكيد لم تذكر هذه الوقائع في أثناء المحاكمة .. واكبر ظني أنك لم تصارع زوجتك بالمبالغ التي سرقها هذا الافاق ..
- لقد وعدته بالكتمان بعد أن عفوت عنه .. فقد كنت اعتقد أنه سيبدأ صفحة جديدة من حياته ..

ومضى 'ساتون' يتحدث عن 'بايسون جرائت' ما يقرب من الساعة ..

الفصل السادس

كان "بايسون جرانث" رجلا من تلك الطراز الذي لولا المؤثرات الخارجية لما عرفوا معنى الخيانة .. إذ كان ينحدر من أسرة محترمة ونال قسطا وافرا من الثقافة والتهذيب وشب على حب الترف .. والإسراف ..

وقد استطاع الشاب في مستهل حياته أن يصيب نجاحا عمليا مذكوراً .. ولكنه ما لبث أن تدهور وأفلس .. فلجا إلى صديقه "فرانك ساتون" فأولاه هذا عنايته ورعايته واستخدمه لديه .. ولم تكن "ناتيكسا ساتون" تعباً بامر الشاب في بادئ الأمر .. احتقارا لشأنه .. وفقره .. وقد أدرك "جرانث" هذا كله بذكائه فحاول أن يزيل هذا الشعور .. فلجا إلى سرقة "ساتون" .. واستعان بالمال .. وعينيه الساحرتين على نصب شبابه حول زوجة الرجل الذي أحسن إليه .. ورفعته من وهدة الفقر إلى مرتبة الثراء ..

لم تكن "ناتيكسا ساتون" تعرف شيئا عن حادث السرقة .. وأخذ الشاب يزين للمرأة عيشة الترف والسعة .. ولم يأل جهدا في النيل من عناية "ساتون" بها .. وغمطه حق رعايته لها ووضعها في المركز اللائق بين أبناء طبقتها الرفيعة ..

ورحل "ساتون" إلى أوروبا بعد أن سجل كل ثروته تقريبا باسم زوجته .. فنشط "بايسون" للعمل ، فطرد جميع الموظفين الموالين لـ"ساتون" واستعاض بالموظفين أشخاصا من صنالعه .. وفرض سلطته على كل شيء حتى زوجة صديقه ..

ولما علم بقرب عودة "ساتون" راح يدبر مؤامرة خطيرة للتخلص منه واتفق لحسن حظه أن عثر رجال البوليس على مسدس محشو في جيب الكابتين عندما نشبت بينهما أول معركة أثارتها علاقة "بايسون" بـ"ناتيكسا" .. ولما كان قانون "سوليفان" يحرم حمل السلاح بغير ترخيص خاص ، فقد حكم القاضي عليه بالسجن سبع سنوات ، أضاف إليها ثلاثا أخرى عقابا له على تهمة التبييد ..

وما كادت الخطوة الأولى من المؤامرة تلاقي هذا النجاح الكبير،

حتى أخذ الثعبان يغري 'تاتيكاً' بالانفصال عن زوجها .. والاقتران به ،
حتى تم له أخيراً ما أراد ..

وهكذا ظفر 'جرانت بايسون' بالمال والجمال .. ثم هرب 'فرانك بايسون' من سجن 'سنج سنج' .. وبدات متاعب ومخاوف الأول تقضه من جديد ..

وفي إحدى الليالي أفصح 'جرانت بايسون' لزوجته عن مخاوفه فقالت ساخرة :

- يا بني العزيز .. إنك تكاد تقسد علي شهيتي ، الا تعلم أنني ساقيم اليوم مادية غداء ومن الضروري أن أكون في حالة نفسية مرحة حتى أستطيع الترحيب بالزائرين . لا تقلق من ناحية 'ساتون' ، فإنني واثقة أنه لن يحاول إيذاك ..

فقطب 'جرانت' حاجبيه وقال :

- إن الموقف أخطر مما تتصورين يا عزيزتي ..

وطرق الباب في تلك اللحظة ، فانتفض 'جرانت' .. وعندئذ ضحكت زوجته وهتفت :

- من المحتمل أن يكون الطارق الأنسة 'دوبين' ، فإنني أتلقى درسا في اللغة الفرنسية لمدة ساعة كل يوم ..

وولجت الغرفة فتاة بسيطة الثياب .. ولكن 'جرانت' لم يتطلع إليها كانت الأنسة 'دوبين' تنحدر من عائلة فرنسية عريقة ، وقد استخدمتها 'تاتيكاً' لتلقنها اللغة الفرنسية والإتيكيت الفرنسي .. إذ كانت تعتزّم شراء قصر على مقربة من باريس في العام القادم .. والاستئثار بقلب أحد النبلاء الفرنسيين .

و'غادر' 'جرانت' الغرفة بقلب مثقل .. وصدر يضيق بالهموم .. وبقيت 'تاتيكاً' صامتة بضع دقائق .. لقد تظاهرت أمام زوجها بعدم الاكتراث لهرب زوجها السابق .. ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك .. فإن أخوف ما تخافه أن يثير فراره من السجن الذكريات المشينة التي اكتنفت القضية .. ففقد عليها تدبيرها للإيقاع بالنبييل الفرنسي الذي توشك أن تصبح جارته .. وكانت 'تاتيكاً' ، قد حدثت مدرستها الأنسة 'دوبين' بكل قصتها .. ولقيت منها عطفًا وتشجيعًا .. فلما انصرف زوجها ..

قالت لها :

- إن 'جرانت' مذعور لفرار 'ساتون' .. ويخشى أن يحاول الاعتداء عليه ..

فقالت الفتاة مطمئنة :

- وفيم الفزع يا سيدتي والقصر كالحصن ؟ ثم لقد مضت ثلاثة أسابيع ولم يظهر لـ 'ساتون' أي أثر .. فهو إما أنه غادر البلاد أو لقي حتفه ..

ولم تخطئ الفتاة في تقديرها فقد أعلن البوليس في اليوم التالي أنهم لم يعثروا لـ 'ساتون' على أثر ورجحوا أنه مات أو غادر البلاد .. وشعر 'جرانت' بكثير من الاطمئنان إزاء هذا التصريح .. ولكنه ظل على حرصه وحذره ..

وذات يوم قالت له زوجته :

- مالي أراك حزينا هذه الأيام ..

إن 'ساتون' لن يتعرض لك بعد الآن فلم القلق ؟ .. لقد لاحظت أنك تكثر من الشراب في الأيام الأخيرة .. وفي هذا خطر جسيم على صحتك ..

فقال 'جرانت' في اكتئاب :

- هذا صحيح .. إنني شديد الفزع يا 'تاتيكاً' فإن وجود 'ساتون' حراً طليقاً حتى الآن خطر جسيم علي .. متى يأتي الصيف لنرحل إلى أوروبا ونترك هذه البلاد بمخاوفها ومتاعبها ..

فقالت زوجته في برود :

- ولكننا سنقضي الصيف هنا .. فقد دعونا الكثيرين ومن العار أن نهرب منهم .. ثم إنني لا أستطيع أن أذهب إلى باريس قبل أن اتقن لغة أهلها .. وإلا سخروا مني كما فعلوا في العام المنصرم .. فتجهم وجه 'جرانت' .. وغادر الغرفة غاضباً .

الفصل السابع

كان لوبيين يتحدث إلى ساتون عن الخطة التي قرر الأخذ بها لتحطيم أعصاب بايسون والحصول على الاعتراف المنشود عندما جاء دافيد مور لزيارته ..

ولم يكن مور يحمل تقريرا مكتوبا في هذه المرة . وإنما حدث لوبيين بما وقف عليه من معلومات في غرفة المكتب بينما كان ساتون يسترق السمع من الغرفة المجاورة .
قال الزائر :

- لقد تناهى إلي أن مستر جرانث يعاني حالة نفسية شاذة .. وعلمت من سائقه أنه أدمن الشراب في الأيام الأخيرة .. وحرص على إطلاق الكلاب في الحديقة في أثناء الليل .. كما أنه استخدم بعض الأشخاص لحراسة القصر .. وقد سألت السائق عن سبب هذا التطور الشاذ فقال إن سيده يخشى أن يطلق عليه أحد اللصوص النار .
- لا أحسبك سمعت بسبب آخر لهذه الاحتياطات ؟ ..

فاجاب مور في صوت خافت :

- بل سمعت .. فهم يقولون إنه خائف من رجل هرب حديثا من السجن .. والواقع أنني أشفق على أي شخص تحدثه نفسه باقتحام القصر فهناك أجهزة الإنذار والكلاب والحراس ..
فابتسم لوبيين ونفخ الرجل بورقة من ذات المائة ريال . وشكره .. ثم صرفه .. واجتمع لوبيين بساتون بعد انصراف مور .. وسأله :

- ما رأيك فيما سمعت ؟ ..

- رأيي أن أعصاب جرانث قد تحطمت ..

- وهل كان مدمنا الشراب فيما مضى .. ؟

- لا .. ولعل امتناعه عن الإفراط هو الذي أبقى له جاذبيته وقوة إغرائه أما وقد بدأ يسرف في الشراب فهذا دليل على شدة ذعره وقلقه .
فقال لوبيين باسم :

- سوف أحطم قواه تماما تحت تأثير المخاوف التي تساوره .. إن المشكلة الرئيسية التي تواجهني الآن هي كيف يتسنى لي أن أدخل

قصره كزائر مكرم محترم .

فقال 'ساتون' معقبا :

- نعم .. ما السبيل لتحقيق هذا الغرض؟ ..

- لقد رسمت الخطوة الأولى .. وأرسلت في استدعاء مديرة منزلي 'كينني' لتقيم معك ، لأنني لا أستطيع أن أتركك وحدك هنا دون أن يكون معك من يقوم على خدمتك ومسز 'كينني' امرأة طيبة القلب يمكن الاعتماد عليها .. ولا يخشى جانبها ..

فصاح 'ساتون' مشدوها :

- وإلى أين أنت ذاهب ؟

- سانتقل إلى منزلي في حي 'سنترال بارك' الأرستقراطي حتى أستطيع أن أنفذ خطتي بسهولة ..

وفي مساء اليوم التالي انتقل 'لوبين' إلى منزل شاب أرستقراطي يدعى 'ستافورد فان بوند' في حي 'سنترال بارك' .. كان يقيم في إنجلترا في ذلك الحين ..

وقد عثر 'لوبين' في مكتب 'فان بوند' على قوائم بأسماء الأندية الأرستقراطية في المدينة والأشخاص الذين ينتمون إليها .. وجميعهم من أصحاب الملايين والمراكز الضخمة في عالم الصناعة والتجارة والمال ..

وأخذ 'لوبين' يتصفح أسماء أعضاء هذه الأندية ، وسرعان ما عثر على الاسم الذي ينشده ، وكان الشاب يدعى 'سويتن ويلد' تعرف إليه 'لوبين' في إنجلترا في أحد مجتمعات الطبقة الأرستقراطية ، وتوثقت بينهما عرى الصداقة على أثر ورطة مالية وقع فيها 'ويلد' وانقذه منها 'لوبين' ..

وانطلق 'لوبين' لمقابلة الشاب .. واستقبله 'سويتن' في حرارة وترحيب وقال 'لوبين' :

- لقد جئت لأصرف بعض شؤوني الخاصة .. واستعرت منزل 'فان بوند' ثلاثة أشهر ..

- لقد كنت أوشك أن أخرج لتناول الغداء .. فإذا لم يكن لديك ما هو أفضل فتمتع معي ..

فراقه 'لوبين' .. ولم تمض ساعة على لقائهما حتى عرف من صديقه أن ابن عمه سيبيع بعض جياده لأن خطيبته رفضت أن تدعه يعرض نفسه للخطر بلعب البولو ..

ثم قال 'سويتن' :

- ولكني لا أعتقد أنه سيستمر على ذلك طويلا .. فهو لن يلبث أن يعود إلى اللعب بعد الزواج ..

وأخرج 'ويلد' مفكرته الخاصة وقلب صفحاتها ، واستطرد :

إن فريق 'مورتيمر' سيتبارى مع فريق من 'ديل بيتسن' بعد ظهر اليوم .. فإذا لم يكن لديك ما يمنعك من مشاهدة المباراة ... فلنذهب إليها معا ..

وبعد ذلك بساعتين كان 'لوبين' يجلس بجوار 'جوان بنتلي' وهي امرأة من نجوم الطبقة الأرستقراطية .. يحوم حولها أصحاب الملايين ويخطبون ودها ..

وسالت 'جوان ويلد' عن صديقه الجديد .. فقدمه إليها بذيول من الأظراء والتعظيم .. وعقب بقوله : إن مستر 'مارتن ديل' سيبتاع بعض جياذ ابن عمه 'مورتيمر' ..

واقبلت في تلك اللحظة طائفة من الرجال والنساء ، فالتف الرجال حول 'جوان' ..

وبقيت النساء على مقربة يرمقنها بعين الحسد والغيرة ، وكانت 'ناتيكيا جرانت' إحدى القادمات ..

ولاحظت 'ناتيكيا' أن 'جوان' تولي شابا حديث العهد بها كل اهتمامها .. فسالت زوجها عنه .. ولكن 'جرانت' أجابها بأنه لم يسبق أن رأى هذا الشاب من قبل ..

وسمعت 'ناتيكيا' 'مارتن ديل' وهو يقبل دعوة للعشاء في قصر آل 'بنتلي' فادركت من فورها أن الشاب أحد الأفراد المبرزين .. ومن ثم عولت على ضمه إلى أصدقائها ..

وقد تجاهل 'لوبين' زوجة صديقه السابقة إلى ما قبل انصرافه بقليل ، عندما قدمته 'جوان بنتلي' إليها ..

وانتهزت 'ناتيكيا' الفرصة ودعت 'لوبين' لثمضية أسبوع في قصرها

الفصل الثامن

استقبلت "ناتيكاً جرانت" ، "أرسين لويين" مرحبة .. وقادته إلى غرفة فاخرة الرياش تطل على المحيط حيث قدمته إلى بعض ضيوفها .. ثم ذهبت به إلى الجناح الأنيق الذي أعد له ، وكان مكوناً من غرفة جلوس وغرفة نوم واسعة وحمام أنيق .

وما كاد "لويين" يفترق في غرفة جلوسه حتى أخرج من جيبه التقرير الذي كتبه له "مور" عن خدم القصر .. وأخذ يقرأ بامعان .

كان كبير الخدم يدعى "ألبرت ثورب" استخدمه آل "جرانت" بعد أن استقال من الخدمة في أحد القصور الكبيرة في "نيويورك" .. وأما مساعده "وليام كارو" ، و "جوان سبرواستون" فكانا أيضاً من طرازه ولكنهما أقل ثقافة .. أما الطاهية فتدعى "ماري كوثور" .. واتخذت "ناتيكاً" من فتاة فرنسية تدعى "الأنسة دويين" وصيفة لها .

قرأ "لويين" التقرير في اهتمام شديد .. ثم ارتدى ثياب المساء .. ومضى إلى شرفة غرفته .. فاطل منها .. وعندما تحول إلى الباب لينضم إلى باقي المدعوين ، رأى غلافاً ملقى بأسفله .. فقطب حاجبيه ، وتملكته الحيرة .. ولكنه بدلاً من أن يلتقطه ، فتح الباب على عجل وتلفت في أنحاء الدهليز .. ولكنه الغاب شاغراً .

التقط الرسالة وكانت معنونة باسمه .. وقامل الخط ، فلم يستطع التعرف إليه . بيد أنه أدرك من فوره أن الكاتب إما امرأة أو رجل مثقف .

فص "لويين" الغلاف .. وهو يتساءل عن الباعث لإرسالها .. وأخرج الرسالة فإذا بها من الورق الأزرق .. وقد احتوت على التهديد التالي بغير توقيع :

"إن شخصاً معيناً في هذا القصر يعرفك ويعرف الغرض الذي جئت من أجله فإذا لم تنتحل عذراً وتستانن في الانصراف بعد تناول طعام العشاء ، وقبل منتصف الليل ، فساصرح لمستـر "جرانت" بكل ما أعرفه عنك .. وبالسبب الذي من أجله سعيت إلى الإقامة في قصره .. فإذا أتعت وانتصرفت فسيظل سرك مكتوماً عن الجميع .. وإن لم تدعن

الجديد "ججنسوهن" .

وقبل "لويين" الدعوة شاكراً .. ونقل النبا إلى صديقه "ساتون" . فقال هذا في أسى :

- إنني أتمنى لك الفوز .. ولو أنني أخشى إلا تجد الطريق أمامك بعيداً . فإن "بايسون" يستعين بطائفة من رجال البوليس السري الخاص للقيام على حراسة قصره والسهر على سلامته الشخصية .. ولعل هؤلاء الرجال يرتدون ثياب الخدم

فقطب "لويين" حاجبيه وقال :

- إنني لا أخشى أمثال هؤلاء الحراس .. لأنني لن أجا إلى القوة والعنف لبلوغ ماريي وإنما ساتوسل إلى ذلك ببث الغزع والذعر والقلق في نفس "جرانت" .

فقال "ساتون" في حرارة :

- أتمنى لك النجاح يا صديقي .. والله لولا أنني متلهف على إزالة الأوحال التي لطلخت اسمي لما رضيت لك بركوب هذا المركب الوعر أبداً .. ثم لا تنس السجن يا صديقي فهو معرة دونها أية معرة ..

- طب نفساً يا عزيزي .. فلن أسمح لأحد بأن يعيدك إلى السجن مرة أخرى ، ولن يهدأ لي بال حتى أعيد إليك شرك المثلوم .
وتصافح الصديقان .

فستسلم حتما للبوليس .

وعض كوبيين على ناخذه . وادرك ان احد المقيمين في القصر . إما قد عرفه . او وصلته انباء عن مهمته .

وكانه ان يكون المسرح مهيا . والنصر مكفولا فيتدخل هذا المجهول ويقلب نجاحه الرائع فشلا بيئا .

كان من المتعذر عليه ان يدرك من عبارات الرسالة مدى ما يعرفه كاتبها عنه . وهل يعلم انه إنما جاء إلى القصر ليثار لساتون؟!

ولكن ارسين كوبيين لم يكن بالرجل الذي ينكص على عقبيه أمام التهديد والوعيد .

غادر غرفته . وهبط إلى غرفة المائدة .. جلس إلى يمين مسز جرانت بينما جلس إلى يسارها كهل طويل القامة . مغضن الوجه اسمه جيمبرت . قالت عنه ربة الدار إنه رحالة كبير . يهتم كثيرا باكتشاف آبار البترول .

وكانت تجلس إلى يمين كوبيين سيدة رائعة الجمال . في ربيع العمر . تترزين بعقد من الجواهر الثمينة .. اسمها مسز فيشر . وبينما كان الجميع منصرفين إلى تناول الطعام وتجاذب اطراف الحديث .. قالت مسز فيشر :

- هل سمعتم بالسرقة الكبيرة التي وقعت حديثا ؟ لقد سرق عقد مسز ويلد الثمين .

وتحولت إلى كوبيين وقالت باسمه :

- بالتأكيد انت تعرف ال ويلد ولا ريب انك رايت العقد !

فقال كوبيين في بساطة :

- لقد عدت من أوروبا حديثا .. وهذه اول مرة تتاح لي فيها فرصة الاتصال باصدقائي ومعارفي .

وشغل الحادث اهتمام الجميع .. وظل كوبيين يصغي إليهم .. وما لبثوا ان انتقلوا إلى التحدث عن بعض السرقات التي ارتكبها كوبيين نفسه .. وراح كل منهم يدلي برأيه .

وقال أحد المدعويين :

- لا ريب ان هذه السرقات الضخمة ارتكبتها عصابة منظمة .

ولعمري . لو فكر أفراد هذه العصابة في زيارتنا الليلة لظفروا بغنيمة ثمينة .

فقال بايسون جرانت :

- إنك مخطئ يا عزيزي .. لأن جميع منافذ قصري تتصل باجهزة إنذار قوية . والكلاب تجوس خلال الحديقة . وإني على استعداد لأن اراهن انه لا يوجد قصر على ساحل جرسني توفر له اسباب الحراسة مثل ما لقصري .

فقال كوبيين :

- ولماذا ؟ هل تتوقع اقتحام اللصوص قصرك ؟

فاسرع جرانت يقول :

- لا .. لكن على المرء دائما ان يلزم جانب الحذر .. خاصة وقد حدثت أخيراً سرقات كبيرة في سبرينج ليك .

وتذكر كوبيين قول ساتون : إنه من المحتمل ان يكون جرانت قد ادخل بعض رجال البوليس السري الخاص إلى قصره بدعوى أنهم خدم او ضيوف . فراح يقلب الطرف بين المدعويين . ولكنه لم يجد بينهم من يصلح لأن يقوم بمثل هذه المهمة الدقيقة .

فرغ المدعويين من تناول الطعام في الساعة العاشرة وصعد كوبيين إلى غرفته . حيث أخرج قائمة الخدم التي زوده بها مور . وراح يستعرض الاسماء المكتوبة فيها . وهي كونور و نمبسي و ميلر و دافيس و منون و دوبيين و إبلجيت و وارنر و تومبسون .

وكان الرجال الثلاثة والآنسة دوبيين ينامون في القصر بينما يقوم زيجان ومساعداه روبس و ساج بحراسته من الخارج .

واطرق كوبيين مفكرا .. ولم يلبث ان تهلل وجهه .. وبق الجرس . فاقبل احد الخدم . فقال له كوبيين إنه يريد ان يتحدث إلى كبير الخدم و اقبل البرت ثورب بعد قليل . ولما كان سيده قد انباه ان هذا الضيف من الأفراد البارزين في المجتمع الأرستقراطي .. فقد انحنى لكوبيين في احترام شديد قاوماً له هذا براسه في كبرياء وقال :

- لقد بعثت في طلبك لأنني اعتقد انه من واجبك ان تطلع على

شهادات الخدم والوصيفات قبل استخدامهن ..

فأصفر وجه الرجل .. وانحنى ثانية في كبرياء ، واستطرد لويين :
- أصغ إلي ، عندي من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن
شخصا في هذا القصر يريد الاحتيال علي متذعرا بعمل طائش من
نزوات الشباب أقدمت عليه .. ولكنني لست من الذين يهابون التهديد أو
الوعيد . ومع ذلك فإنه يهمني الا يصل إلى أذني مضيقتي شيء عن
هذه المسألة .. إنني بالتأكيد أصارحك بهذه الحقائق لأنه يبدو لي أنك
رجل محنك عركتك التجارب .

فقال 'ثورب' في لهفة :

- هذا صحيح يا سيدي .. وبم تشير علي ؟

- أريد منك أن تبحث عن شخص في القصر له مثل هذا الخط ..

ومزق 'لويين' السطر التالي من الرسالة التي وصلته .. بعد تناول
طعام العشاء .. وقبل منتصف الليل ..

وتطلع 'ثورب' إلى ساعته وقال :

- إن الساعة الآن العاشرة والنصف يا سيدي .

فسأله 'لويين' :

- إنني أمنحك ساعة للبحث .. وأما الآن فسأهبط إلى الطابق الأول

فإذا وصلت إلى أية نتيجة فتعال إلي وقل إن مستر 'سويثن' يريد
أن يتحدث إلي تليفونيا ويرفض أن يصرح بما يريد .. وأعلم أنني
رجل يدفع بسخاء لكل من يقدم إلي أية خدمة أو معونة ..

وبينما كان 'لويين' يلعب البريدج مع بعض المدعوين ، أقبّل 'ثورب'
وانحنى لـ'لويين' .. ثم قال في صوت مرتفع سمعه الجميع :

- إن مستر 'ويلد' يريد أن يتحدث إليك تليفونيا يا سيدي .. لقد
رفض أن يصرح لي بما يريد .

فاستأنف 'لويين' من رفاقه وغادر الغرفة إلى قمرة التليفون .. وبقي
بها وقتا ليس بالقصير نرا للمراد في العيون .. وعندما غادرها رأى
كبير الخدم يضع على مقعد قريب غلافا قد التصقت به الرقعة التي
أعطاهها له 'لويين' والتقط هذا الغلاف .. وأخرج الرسالة فالتقاهما

مؤرخة من شهر مضى ، ومعنونة باسم مسز 'بايسون جرانت' وأما
مرسلتها فكانت 'ماري دويين' معلمة اللغة الفرنسية .
وتأمل 'لويين' الخط . ثم قارنه بخط الرسالة التهديدية التي تلقاها .
فالتقاهما واحدا .

سال 'لويين' كبير الخدم :

- كيف استطيع مقابلة الأنسة 'دويين'؟

- من المحتمل أنها أوت إلى مخدعها يا سيدي . إن غرفتها فوق
غرفتك مباشرة .

فقال 'لويين' في حزم :

- ينبغي أن أقابلها في التو واللحظة فهل لك أن تقول لها إن مسز
'جرانت' تريدها بضع دقائق ؟

- هذا سهل ميسور يا سيدي . لكن ماذا تقول مسز 'جرانت' عندما
تعرف ذلك ؟

فقال 'لويين' وهو يدس ورقة من ذات الخمسين ريالاً في يد الرجل :

- دع ذلك لي .. إنني أرجو أن يتم هذا الاجتماع في غضون نصف
الساعة .

- سيكون لك ذلك يا سيدي فبعد نصف الساعة ستحضر الأنسة
'دويين' إلى غرفة جلوسك ..

وعاد 'لويين' إلى زملائه وقضى ربع الساعة ، ثم استأنف في
الصعود إلى غرفته .. معتذرا بأنه مرغم على كتابة رسالة مهمة
لصديقه 'ويلد' ..

وبعد عشر دقائق سمع 'لويين' وقع أقدام في الدهليز .. أعقبها طرق
خفيف على بابه .. ثم فتح الباب .. وقال 'ثورب' :

- ادخلي يا أنسة .

وتقدمت الفتاة بضع خطوات إلى الداخل ، ثم تطلعت إلى الباب
الذي أغلق خلفها في ارتياب .. وقالت :

- هذه خدعة غير لائقة .

ونهب كوبيين واقفا .. وانحنى للفتاة .. ثم ابتسم . عرفها على الفور . وتذكر أنه حين رآها آخر مرة كانت تطلق على نفسها اسم مدام 'دي بيليو' .

قالت الفتاة :

- أهي خدعة يا سيدي ؟

فاجاب 'كوبيين' مطمئنا :

- إنها وسيلة من وسائل الاحتياط لا غير .. اكبر ظني ان كلامنا يتلف على التحدث إلى الآخر فتفضلي بالجلوس .

ولم يبد على الفتاة الذعر أو الهلع لوجودها في مثل هذا الموقف الشاذ . ولا عجب فهو لم يكن الأول من نوعه .. فقد كان لهما معا قبل ذلك موقف شبيه خرج منه 'كوبيين' بصفقة المغبون المخدوع .. ولم ينسها بل لن ينساها ما عاش .

فقد حدث أن التقى بها في غرفة مكتب 'جستويك' . في إحدى ليالي الخريف . وكان قد ذهب إلى هناك ليستولي على مبلغ كبير من المال عرف أن المليونير يحتفظ به في خزائنه .

كان لـ'جستويك' ابن طائش أحب فتاة تدعى 'جراند كورت' تعمل في 'كورس' .. واعزم أن يتزوجها .. ولكي يتجنب 'جستويك' الفضيحة عرض على الفتاة أن تبيعه الخطابات الغرامية التي بعث بها ابنته إليها بخمسين الف ريال .. وعرف 'كوبيين' أن المبلغ مودع في خزانة

المليونير . وأن 'جراند' ستاتي إلى القصر في صباح اليوم التالي لتأخذ المبلغ في مقابل تسليم الرسائل .. ومن ثم تسلل إلى القصر مدعيا أنه أحد مفتشي البوليس السري . وصرف الخدم إلى مضاجعهم إذ كان مطمئنا إلى أن أصحاب القصر لن يعوبوا من سهرتهم في الأوبرا قبل ساعتين .. وما كاد 'كوبيين' يدخل غرفة المكتب

ويغلق بابها خلفه حتى برزت له الأنسة 'دوبيين' من خلف إحدى الستائر . وكانت رائحة الجمال في تلك الليلة ترتدي ثوبا فاخرا . وتزين ببعض الجواهر الثمينة . وقدمت نفسها لـ'كوبيين' على أنها

إحدى بنات 'جستويك' ثم قالت له إنها ستعفو عنه في مقابل تعهده بلا يعود إلى السرقة والسطو على المنازل .

ولم تنطل الحيلة على 'كوبيين' .. فهو يعلم أن جميع بنات 'جستويك' موجودات مع بقية أفراد الأسرة في الأوبرا .. فلما صارحها بذلك بكت وقالت إنها كذبت عليه . ثم أضافت أنها 'استيل جراند كورت' زوجة ابن المليونير . وأنها تنحدر من أسرة لا تقل حسبا عن أسرة زوجها .

ولما سألها 'كوبيين' عن سبب وجودها في القصر في تلك الساعة المتأخرة . قالت إنها جاءت لتقابل ابوي الرجل الذي أحبته ولتبرهن لهما على أنها ليست من بنات الشوارع كما يظنان .. لعلهما يقتنعان ولا يصران على طلاقها من ابنتها .

ورفى 'كوبيين' لحال المرأة التعسة .. ورق لها قلبه عندما ذكرت له أنه لو استولى على المبلغ المودع في الخزانة فسيعتقد الجميع أنها سرقتها وبذلك يسوء مركزها .. ولا يتم بينها وبينهم أي تفاهم ..

وبكت .. وتوسلت إليه ألا يسرق النقود .. فهزته الخوة .. واجابها إلى توسلاتها .

وفي اليوم التالي عرف 'كوبيين' أنه خدع .. وأن الفتاة لا تمت لـ'جستويك' ولا لـ'جراند كورت' بصلة .. فقد ذكرت الصحف أنها فتاة مغامرة طالما حيرت البوليس بالأعبيها وحيلها الجهنمية .. حتى لقد أطلق عليها بوليس قارة أوروبا اسم 'الكونتيس' .

وعض 'كوبيين' على ناخذه وقرر أن ينتقم .. وظل يبحث عن الفتاة .. ويتأثرها .. حتى التقى بها في لونغ أيلاند متكررة باسم مدام 'دي بيليو' .. وذهب لزيارتها ذات يوم .. ولما انصرف من منزلها كان يحمل لؤلؤة يقدر ثمنها بستين الف ريال .. اضطرت الكونتيس أن تنزل له عنها ترضية له .

سألته الفتاة بعد قليل :

- ماذا تريد ؟

- هل تعرف لماذا بعثت في طلبك ؟ ألا يمكنك أن تدركي السبب ؟

وكنت يومئذ احترف اللصوصية ، ولكني مثلك لم اكن اسعى إلا وراء الشخصيات الكبيرة .. واستطعت ان احصل على ثروة ضخمة ، فابتعت لخطيبي قصرا بانخا ... وبدأت اتطلع إلى المستقبل باسم بعين ملؤها الأمل والرجاء ولكن خطيبي كان مقامرا ، متلافا ، فتكررت له أسرته ، وساء حاله ، وانتابته الأمراض حتى طحنت جسمه وهدت قواه فرحت أتعهده برعايتي ، وأنفق على علاجه بسخاء حتى برئ من أسقامه . ولما اقترب موعد الزواج كشفت له عن شخصيتي .. وكنت من الحماسة بحيث أفضيت إليه بكل شيء .. ولو اني لم اصرح له باسماء الأشخاص الذين سرقت جواهرهم وأموالهم !!.. فهل تدري ماذا قال ؟! لقد مات الآن ، وقضى الأمر .. فلا ضير علي إذن من ذكر ما قال .. قال لي إنه كان ضابطا في خدمة جلالة الملك ، وهو يربأ بنفسه أن يتزوج لصة .. ومات وهو يحتقرني ويزدريني .
وأدرك كوبيين من لهجتها أنها صادقة .. وهز رأسه في أسى ..
واستطردت الفتاة :

- إن الله ابر بعباده من أن يدعم نهبا للالم المستمر ولابد أن يهديني الامن والسلامة يوما ما . على الإنسان دائما أن يدفع ثمن ما تقدمه يده .. ولكني لا أستطيع البقاء هنا ولا مواجهة تحقيق البوليس ، لأن ذلك سيؤدي حتما إلى إدانتني ، والحكم علي بالسجن أعواما طويلة . وهذا أمر أفزع منه كل الفزع .
فقال لها 'كوبيين' مطمئنا :
- إذا كنت تشعرين بالسعادة في هذا القصر ، فليس هناك من سبب يحملك على الرحيل عنه . فإنك ستكونين بمنجاة من تحقيق البوليس لانني لن آتي فعلا ما يستدعي تدخلهم .
فقالت مبهوتة :
- أنا لا افهمك ! . فهل لك ان تفصح ؟
فابتسم 'كوبيين' .. وقال :
- إنني جئت لشؤون عملية وليس للسرقه .

- اكبر الظن انك عرفت انني كاتبه الرسالة !
- إنني لأعجب كيف تجرؤين على تهديدي .
- ظننت انك لن تستطيع معرفة الشخص الذي بعث إليك بالرسالة .. وأملت أن يحملك خطر الافتضاح إلى مغادرة القصر في الحال ..
- ولكن هانت ترين أنني لم أذعن للتهديد .. فهل لاتزالين مصررة عليه؟ بدا القنوط على وجه الفتاة .. وأجابت في ذلة :
- وكيف أستطيع أن اتوعد رجلا له مثل تجاريك ؟
- إذن لم كتبت هذه الرسالة ؟
- لو صارحتك بالحقيقة لسخرت مني .. إذ كيف تصدق أنني اكل الآن خبزني بعرق جبيني .
- لو صدقتك لما سخرت منك .. ولكن التصديق ليس بالأمر الهين .
لقد جئت إلى هنا سعيا وراء مغنم كالعادة .
فصاحت الفتاة في انفعال :
- لا .. لا .. هذا ليس صحيحا .. لكن كيف أستطيع ان اقنعك بعد ان خدعتك مرة ؟
وانبعتت واقفة .. ثم استطردت :
- أنا التي يجب أن تغادر القصر .
وعجب 'كوبيين' لتصرف الفتاة .. واستشف الصدق من لهجتها .. فسألها :
- ولماذا يجب أن تغادريه ؟
- لانني كما قلت لك اعمل لاعيش ! فإذا سرق شيء من القصر ، فستكتفني الربية ، وهذا هو باعني إلى إلقاء الذعر في قلبك لعلك تبادر بالرحيل ..
فقال 'كوبيين' في بطء :
- لا أزال اجهل ما تعنين .. فإذا اوضحت لي الموقف فستجديني خير من يصغي إليك ..
- لعلك تذكر أنني كنت مخطوبة لشاب يدعى الكابتن 'مونموت' .

الفصل التاسع

ماكاد 'لوبيين' يهبط إلى حلبة الرقص حتى خفت ربة الدار إليه . واستقبلته بترحيب شديد .. ولما بدأ الأوركسترا يعزف أدرك أن قواعد اللياقة تحتم عليه أن يطلب إلى مضيفته مراقبته .. وقد دار عدة مرات في القاعة . ثم لاحظت مسن 'جرانت' أن 'لوبيين' يقرب الطرف بين المدعويين متاملا فقالت :

- لا ريب أن هؤلاء القوم لا يثيرون اهتمامك .. لقد كنت أرجو أن يأتي بعض الشباب المرح . وبهذه المناسبة .. أخشى أن يكون مسنر 'جمبرت' قد ضايقتك في أثناء العشاء بفضوله ؟
- لا .. بيد أنني استطعت أن أستنبط من حديثه أنه من هواة البحث الجنائي .. أو لعله من المحرفين ؟ !

وسدد النظر إلى مضيفته في انتظار إجابتها . وهل ستلجأ إلى الكذب أم ستقرر الحقيقة . ولكنه رآها هادئة كل الهدوء . وقالت في صوت هادئ مترن الثبرات :

- من سوء الحظ أنه 'الأب الروحي' لـ 'بايسون' . ولهذا كان من الواجب علينا أن ندعوه إلى البقاء بعض الوقت .

شد ما أشعر بالضجر الشديد كلما تلفت حولي ورايت هؤلاء الكهول .. الذين لا يعرفون غير حديث المال والأعمال .

أدار 'لوبيين' بصره نحو الباب . وراى عملاقا عريض المنكبين تدل هيئته على أنه من رجال البوليس . فلما استفسرها عن شخصيته قالت إنه من زملاء زوجها في العمل .

ولما فرغ الرقص . قدم 'جرانت' الزائر الجديد إلى ضيوفه باسم مسنر 'بيتمان' . وقال إنه جاء ليعاونه في بعض أعماله الخاصة في مناجم جنوب أمريكا . ولكنه ما كاد يقول ذلك حتى لاحظ 'لوبيين' أن 'ناتيكاً' قد قطبت حاجبيها . وأما 'جمبرت' فقد تطلع إلى مسنر 'بيتمان' في ارتياب ثم انحنى به ناحية وراح يطره بوابل من

فقال في بطنه :

- لعلك لا تعني أنك طلقت هويتك السابقة .

- نعم .. ولن أطلقها .. صفوة القول أنني لم أت إلى هنا للسرقة .. وإنما لمعاينة أحد الأشخاص عقابا تقتضيه العدالة .. عقابا لا يمكن إلا أن تسلم به الضمائر الحية .. وما أحسب إلا أنك ستقربني لو عرفت الحقيقة .

فسالته في لهفة :

- وهل أستطيع مساعدتك ؟

- نعم . عودي إلى عملك ولا تلقي بالك إلي .. وثقي أنني لن أقدم على ما يسووك .

فاغرورقت عينها بدموع الفرح وهتفت :

- شد ما يسرنى أن أسمع ذلك .. أكبر ظني أنك جئت لتتار من امرأة اعرضت عنك بعد أن وهبتها قلبك ؟

فأدار 'لوبيين' وجهه كي لا ترى الفتاة الابتسامة الساخرة التي ارتسمت على شفاهه .

وطرق الباب في تلك اللحظة . ودخل 'ثورب' ليقول : إن حفلة الرقص قد بدأت . وأن ربة الدار ترجو مسنر 'مارتن ديل' أن ينضم إليهم .

الاسئلة . وبعد هنيهة اقبل 'جمبرت' على 'لويين' وقال له :

- لقد اثار هذا الرجل اهتمامي ، لاني والى انه اجهل من دابة في الشؤون المالية بخلاف ما يزعم 'جرانت' .

ومع ان 'لويين' كان يعتقد جازما ان 'بيتمان' إما أحد رجال البوليس العاملين او موظف في مكتب من مكاتب البوليس الخاصة فإنه لم يكن يود ان تتكشف شخصية الرجل سريعا .

وسمع 'لويين' اسمه يذكر 'مارتن ديل' . ولكنه لم يجزع بقدر ما انتابه القلق من ناحية (الكونتيس) . فلو كان مستر 'بيتمان' من رجال البوليس حقا . فإنه سيبدأ حتما بالاطلاع على شهادات الخدم والوصيفات . وقد يؤدي اطلاعه هذا إلى كشف النقاب عن ماضي الأتيسة 'لويين' .

واقبل مستر 'جرانت' ومستر 'بيتمان' في تلك اللحظة على 'لويين' . فقال هذا مازحا :

- الحق انه ماكان ليجول بخاطري انك من رجال التجارة !

فتامله 'بيتمان' بعين الارتياح . وقال متظاهرا بالمرح :

- لن اتحدث الليلة في العمل . فقد قررت ان ابداه غدا .. نعم غدا .

وانصرف على عجل .. وبعد قليل بدأ المدعوون في الانصراف إلى غرفهم .. وما كاد 'لويين' يستقر في غرفة جلوسه ، حتى طرق الباب . ودخل مستر 'جمبرت' .

صاح القادم في انفعال :

- إنهم لن يستطيعوا ان يخدعوني . لقد غاب عنهم انني كنت قناصا هذيبا . فهذا الرجل 'بيتمان' ليس إلا من رجال البوليس .. وقد استدعته 'تاتيكيا' حتى لا تجد العصاية التي اقتحمت معظم قصور هذه المقاطعة فرصة للسطو على قصرها .

فقال 'لويين' باسمه :

- هذا امر يدعو إلى الاهتمام . اجلس ، ودخن لفافة تبغ .

جلس 'جمبرت' ، وأشعل لفافة ثم قال :

- إن لي بصراً ثاقبا .. لقد قالت لي مسز 'جرانت' إن المدعوات يتزين بجواهر تقدر قيمتها بمليون ريال .. ولما كانت تخشى الفضيحة فقد جاءت بهذا الرجل ليقوم على حراستها .

فقال 'لويين' في هدوء :

- أه لعل الرجل قد حصر ربيته في شخص معين ؟

- بالتأكيد . وقد صرح بأنه يعتقد ان جميع السرقات التي وقعت في هذه المقاطعة كانت اعمالا داخلية . وسمعتة يسأل 'تاتيكيا' عن معلوماتها فيما يختص بكبير الخدم ومساعديه . وتالقت عيناه واستطرد :

- بودي لو تتيح لي الفرصة مشاهدة إحدى هذه السرقات الكبيرة .

- قد لا تتاح لك الفرصة على الإطلاق ، لأن نسبة السرقات التي تقع ضئيلة جدا بالنسبة إلى مجموع هذه القصور .

- ولكن هذا القصر اشبه بمغناطيس . ولو كنت ممن ينتمون إلى عالم اللصوص لحاولت ان احصل على دعوة بالمجيء إليه .

ونهض 'جمبرت' .. وحيا 'لويين' وانصرف .

وفي صباح اليوم التالي . بعث 'لويين' بالرسالة التالية إلى الأتيسة 'لويين' مع كبير الخدم :

'الزمني جانب الحذر الشديد . لأن في القصر رجلا من رجال البوليس يطلق على نفسه اسم 'بيتمان' . وهو يزعم انه صديق مستر 'جرانت' ومن رجال الأعمال . ينبغي ان اراك في اقرب فرصة . فلقولي لحامل هذه الرسالة متى يمكنك الحضور' .

انزعجت الفتاة عندما تلقت هذه الرسالة . ولكنها تحولت إلى 'ثورب' . وقالت :

- سأحدث إلى مستر 'مارتن ديل' في الساعة العاشرة . وعندما ذهب 'لويين' إلى غرفة المائدة ليتناول طعام الغطور ألقي 'جمبرت' قد سبقه إليها .

قال 'جمبرت' :

- لقد لاحظت أن بيتمان لم يغمض له جفن طول الليل ، فقد كان يزرع المرر بخطى حذرة .. وقد يكون من نافلة القول أن انوه بمدى حرصه . فقد تعقبته اليوم إلى شاطئ النهر ، ورايته يتعهد لنشأ بخاريا اخفاء بمهارة في بقعة على الشاطئ ولما أبرزت له نفسي انزعج ولكنه اضطر إلى أن يصرح بأنه رأى الاحتفاظ بهذا اللنش استعدادا للطوارئ . ولم يهدأ له بال حتى وعدته بالكتمان التام .

فقال "لوبيين" ساخرا :

- ومع ذلك فإنك لم تترك معي بهذا الكتمان !

فصاح الكهل في انفعال شديد :

- الواقع أنني اعجبت بك يا بني .. وما أحسبني ارتكبت شططا . واقبل المدعوون في تلك اللحظة . فقطعوا عليهما الحديث .. ولما اكتمل عددهم .. ولم يأت بيتمان .. قالت ربة الدار إن الرجل يتناول في غرفته طعاما خاصا تبعا لإرشادات طبيبه الخاص .. ولكن هذا التفسير لم يقنع "لوبيين" وإنما أيقن أن الرجل يتجول في ابهاء القصر ودهاليزه ليقوم على حراسته .

وفي الساعة العاشرة جاءت "دوبين" لزيارة "لوبيين" في غرفته .. ولاحظ الشاب أن الفتاة هادئة تمام الهدوء .. متمالكة جاشها .. وقد تلاشت من وجهها علامات اليأس التي كانت تكسو ه في الليلة السابقة .

قالت :

- ينبغي أن انصرف بعد عشرين دقيقة على الأكثر لكي اعطي مسز "جرانت" درسا في اللغة الفرنسية .. الحق أن رسالتك أزعجتني كثيرا . - لقد أردت أن أفتح عينيك لكل خطر محتمل .

فقالت الفتاة في اكتئاب :

- إن الخطر موجود دائما بالفعل .. متى جاء هذا الرجل ؟

- أمس .. وقد سمعت أنه قضى الليل كله ساهرا على حراسة القصر .. وقد أردت باستدعائك أن انصحك اللهم إلا إذا كان من رجال

البوليس الرسمي ..

- وكيف استطيع تمييزه من بين سائر الضيوف ؟

فوصفه لها وصفا دقيقا .. وعقب قائلا :

- والواقع أنني شعرت منذ النظرة الأولى بتفور غريزي نحوه .

فارتسم الجزع على وجه الفتاة .. وقالت :

- هل تعتقد انه جاء في أثرك ؟

وشعر "لوبيين" بالعطف عليها عندما راها تهتم بسلامته .. وقال :

- لا اظن ذلك ..

وتطلعت الفتاة إلى ساعتها .. وتهيأت للانصراف .. فقال "لوبيين" :

- لا يجدر بك أن تتصرفي قبل أن تلقي نظرة على "بيتمان" .. إنه موجود الآن في الحديقة .. وأكبر ظني أنه يتطلع إلى هنا ..

وأخرج من درج منضدة الزينة منظارا مكبرا .. فتناولته "الكونتيس" ووضعت على عينيها ثم قالت :

- لقد أولانا ظهره .. نعم .. إن هيئته تنبئ بأنه من رجال البوليس وسأحاول ما استطعت أن أتجنبه ..

وانصرفت الفتاة إلى جناح مسز "جرانت" .

وشد ما راع الأنسة "دوبين" أنها رات مخدمتها تبتدرها في هذا الصباح بحديث مزعج عن السرقات . وعن لصوص الجواهر وما تكس تحت سقف بيتها من الجواهر في تلك الأيام . ثم عقببت بذكر وجود مسز "بيتمان" للسهر على سلامة جواهر المدعوات .

وفجأة التقطت ربة الدار سماعة التليفون . ثم قالت لمحدثتها :

- ابعث بمسز "بيتمان" إلي في الحال يا "تورب" !

وغاص قلب "الكونتيس" بين جذبها حين قالت لها مسز "جرانت" :

- لقد خبرت الحياة يا عزيزتي . فقول لي ما رأيك في هذا الرجل ؟

وخشيت الفتاة أن تكون مسز "جرانت" قد نصبت لها شركا ..

واسقط في يدها .

وبعد هنيهة طرق الباب .. وولج مسز "بيتمان" الغرفة ثم انحنى

لمسز جرائت .

وراته الأنسة 'دوبين' في المرآة .. فقد كان ظهرها إلى الباب
وحرصت على أن تظل في هذا الوضع حتى لا يرى الرجل وجهها .

بيد أنها لاحظت بعد قليل أن الرجل يتأمل صورتها في المرآة .. وفي
التوسرى الذعر إلى قلبها . ولا سيما وقد خامرها يقين بأنها رأت هذا
الرجل قبل الآن . بيد أنها لم تستطع أن تتذكر متى وأين كان ذلك ؟ ولو
أنها كانت واثقة أنه ليس من رجال العدالة .

وأصغت 'دوبين' إلى صوت الرجل في اهتمام شديد عندما سألته
مسز جرائت :

- هل تراقبه عن كثب ؟

فأجابها :

- إنه قلما يغيب عن ناظري يا سيدتي .. لعلك استدعيتني لتصدري
إلي أوامر جديدة ؟

- لا .. ليس لدي غير ما قلته لك .

وأومات إليه براسها .. فانصرف .

وسالت مسز جرائت مدرستها :

- مارايك فيه ؟

- إن الأثر الذي تركه في نفسي غير محمود .

- أن له وجه مجرم . ولكن الملاحظ أن أقدر رجال البوليس بدعوا
حياتهم لصوصا .

- وهل أنت مطمئنة إليه ؟

- نعم . فإن له مكتباً في نيويورك . واسمه مدون في دليل
التليفونات .

فاطرقت 'دوبين' براسها . وعلى الرغم من الجهود الجبارة التي
بذلتها فإنها لم تستطع أن تتذكر الظروف التي رأت فيها هذا الرجل
من قبل .

وعندما عادت إلى غرفتها كانت لا تزال تقدح زناد فكرها على غير

جدوى .

ولما أعيأها التفكير انصرفت إلى القراءة .. فلما كانت الساعة
الخامسة استدعت 'تورب' وطلبت إليه أن ينبئ مستر 'مارتن ديل'
بانها ستزوره في الساعة السادسة .

وفي الموعد المحدد انطلقت لمقابلة 'لويين' خلصة .

قال للفتاة باسم :

- يبدو لي من هيئتك أنك شديدة القلق . لكني لا اعتقد أن في الأمر
خطرا ما .

- أخشى أن تكون مخطئا .. لقد رأيت مستر 'بيتمان' هذا من قبل .
إن مسز جرائت استدعته إلى غرفتها هذا الصباح . ومنذ النظرة

الأولى أيقنت أنني رأيتك فيما مضى ولو أنني لا أستطيع أن أحدد
ظروف لقائنا بدقة . ولو أنه من المحتمل أن تكون هذه المقابلة قد

وقعت في مونت كارلو منذ عهد بعيد .. على أنني أرجح أنه ليس من
رجال البوليس .

فقطب 'لويين' حاجبيه وقال :

- مما يؤسف له حقا أنك لا تستطيعين التذكر . وعلى كل حال إن في
وجود هذا الرجل هنا خطرا عليك سواء كان من البوليس أم من

المجرمين . على أنه إذا كان مجرما فقد يضطر إلى التزام الصمت
خشية أن تفضحيه بدورك .

- لكن لنفرض أنه سرق شيئا وهرب . ألا يجعلني ذلك موضع ريبة ؟

- إذا كان لصا ففي استطاعتنا أن نحول بينه وبين السرقة .

فصاحت في أسى :

- أه لو استطعت فقط أن أتذكر ؟

- هوني عليك . فساجري الليلة تجربة صغيرة لاستوثق من حقيقة
الرجل .. فاذهبي الآن إلى غرفتك . وعودي لزيارتي غدا في الساعة

العاشرة صباحا .

وبعد انصرافها اتصل 'لويين' بالجراج وطلب إليهم أن يبعثوا إليه

بسيارته .

استقل "لويين" السيارة إلى أحد المكاتب حيث ابتاع كتابا عن الجولف .. وعددا من الأغلفة البلاستيك الشفافة التي تستعمل في التغليف .. ثم عاد إلى القصر فارتدى ثياب المساء .. وغلف الكتاب .. وهبط إلى الردهة .. فوجد "بيتمان" وحده .. فتقدم منه . وسأله :

- هل رأيت هذا الكتاب من قبل يا مستر "بيتمان" ؟

فأمسك الرجل بالكتاب .. وقلب صفحاته .. ثم هز رأسه سلبا .. وقال :

- لا .. فإنني لست من هواة الجولف .

وتأمل "لويين" الغلاف المستعار في اهتمام .. فهتف "بيتمان" :

- لماذا تتأمله ؟

- إنك أمسكت الكتاب بعنف .. ولما كان الطقس حارا .. فقد انطبعت بصمات أصابعك على الغلاف .. يا إلهي . إنها مجموعة مدهشة من بصماتك .. ولو كان لك ماض سئ .. لما وجد رجال البوليس أية صعوبة في التعرف عليك .. ولما ترددت في قلبي لتسترد هذه البصمات أما وانت رجل محترم .. فما أحسبك تخشى شيئا .

فقال الرجل وهو يحاول أن يخفي جزعه :

- نعم .. هذه نظرية فذة .. لكن من أين لك العلم بهذه المسائل ؟

- لقد طالعت تفاصيل شائقة في مقال للمفتش "فورد" عن بصمات

الأصابع ..

ثم أوما برأسه إلى الرجل وانضم إلى بعض المدعويين وبقي "بيتمان" يتأمله في اهتمام وقتا طويلا .. ثم تسلل من الردهة في هدوء ..

وبعد العشاء قال "لويين" لـ "نانيك" :

- يبدو أن صديق زوجك المالي قد رحل ..

فقالت المرأة بأسمة :

- بل سيبقى هنا أسبوعا آخر ..

- إنه رجل شديد الذكاء .. فقد حدثني كثيرا عن الجولف .. فادركت

أنه واسع الإطلاع .

وفي الساعة الثانية صعد "لويين" إلى غرفته .. فلاحظ أن "بيتمان" كان مزويا خلف أحد الأعمدة الضخمة فابتسم ساخرا .. ووضع كتاب الجولف على منضدة في غرفة الجلوس بعد أن نزع منه الغلاف المستعار .. ووضع غلafa آخر غيره يحمل مجموعة عادية من بصمات الأصابع ثم خلع ثيابه .. وجلس على مقعد ذي ظهر مرتفع .. في مواجهة النافذة وأطفا المصباح ..

وبعد ساعة تقريبا . سمع "لويين" صوت باب الغرفة وهو يفتح . فآدار رأسه قليلا . وعندئذ رأى "بيتمان" يتقدم من المنضدة ويلتقط الكتاب . وينصرف من الغرفة في حذر تام .

وفي الصباح رأى الكتاب قد أعيد إلى المنضدة . ولكنه لاحظ أن الغلاف الذي استبدله في الليلة السابقة قد استبدل به غلاف يشبهه وعليه أيضا مجموعة من بصمات الأصابع .

فابتسم ساخرا . فقد انطلت حيلته على "بيتمان" وكشفت حقيقته .

الفصل العاشر

وفي صباح اليوم التالي قال لوبين لـ دوبيين :

- إن الرجل جاء للسرقة وليس لكشف حقيقتك .. ولعل زيارته لغرفتي أمس تؤيد هذا الظن .. وهو رجل واسع الحيلة بغير منازع إذ لو أنه سرق الغلاف المستعار فقط لكان ذلك مدعاة لتساؤلي .. ولو احتفظ بالكتاب كله لكان من المحتمل أن اظن أنني نسيتته في الطابق الأرضي وأخذه أحد المدعويين .. ولكنه لجأ إلى سبيل أكثر أمانا . فاستبدل الغلاف المستعار بأخر شبيه له وترك الكتاب حيث هو .. مهما يكن فقد أدركت الآن أن واجبي يقضي علي بمراقبة هذا الرجل عن كذب والحيلولة بينه وبين ارتكاب أي حادث سرقة هنا .
فقالته الفتاة مهمومة :

- إن الالتحام بمثل هذا الشرير ليس من العقل في شيء . كم أود أن يحضرني اسمه ..

فقال لوبين مطمئنا :

- ليس هناك ما يدعو للقلق .. وكل ما أشير عليك به أن تتحاشى لقاءه ما استطعت . وعمما قريب يرحل الضيوف جميعا . ويزول الخطر.

- فقالت الفتاة :

- لا اظن ذلك . فقد نظمت مسز جرانت عددا من الحفلات ستدعو إليها بعض أصدقائها .. وأنت .. متى سترحل ؟

- لن أرحل قبيل أن أطمئن على سلامتك .. أو بمعنى آخر إلى أن يرحل بيتمان فاتخذني إذن من أسباب الحذر ما يجعلك في مامن منه . وتذكري دائما أن في استطاعتك الاتصال بي في أية لحظة بواسطة ثورب .

فاغرورقت عينا الفتاة بدموع الشكر .. وهزلت منصرفة من الغرفة ..

عادت الأنسة "دوبين" إلى غرفتها بعد أن خلّت بـ"تاتيك" جرّانت فترة أطول من المعتاد .. ذلك أن ربة الدار حدثتها عن أمالها حديثاً مستفيضاً . وكيف خابت في زوجها الأول الكاين "ساتون" .. وعن زوجها الثاني وكيف أنه أسرف في الفترة الأخيرة في الشراب .. ثم كيف كانت تشعر بخيبة الرجا لأن أحدهما لم يحقق أطماعها في الوثوب إلى منزلة رفيعة في مجتمعهما الراقي ..

وحاولت الفتاة أن تصرف بعض الوقت في القراءة .. ولكنها شعرت بالضجر الشديد عقب قراءة الصفحة الأولى ..

فجلست إلى النافذة تتأمل أمواج المحيط وهي تتكسر على الشاطئ وفجأة وفيما هي سابعة في بحار من همومها ومناعبها . إذا بها تسمع طرقاً خفيفاً على الباب .. فانتفضت . ونهضت إلى الباب . وفتحتة .. وإذا بها وجها لوجه أمام "بيتمان" . ولم تخنها شجاعته .. فقد كانت تعلم أن "كوبين" من خلفها يشد أزرها ويدفع عنها الخطر . فقالت في هدوء :

- الديك ما تريد أن تسألني عنه ؟ ..

رفع إصبعه إلى شفثيه محذراً وهتف : اخفضي صوتك .

ودفعها جانباً .. ونفذ إلى الداخل .. وأغلق الباب خلفه .. ثم تقدم إلى مقعد بجوار النافذة . وجلس .. وبعد أن أشعل لفاة تبغ قال باللغة الفرنسية . وعلى شفثيه ابتسامة خفيفة :

- ألم تعرفيني حتى الآن ؟ ..

وهبط الوحي على الفتاة فجأة .. فصاحت :

- أه ! أنت "بيبير روليش" .. !

وتدفقت الذكريات إلى ذهنها . وتذكرت أنها لم تر الرجل أكثر من مرتين . ولو أنها سمعت أصدقاءها السابقين يتحدثون عنه كثيراً .. كان ذلك الرجل بمثابة مرشد لأصدقائها إذا رأى رجال البوليس يحومون حول الأمكنة التي كانوا يرتادونها . ولكن هذه العصابة

الراقية ما كانت لتسمح لـ"بيبير روليش" بحضور جلساتها أو الاشتراك في مناقشاتها ..

كانت تلك العصابة مكونة من عدد محدود من الرجال والنساء . وقد استطاعت في شهور الشتاء منذ أعوام خلّت أن ترتكب عدداً من السرقات في الريفينيرا . وخرجت من هذه السرقات بجواهر تقدر قيمتها بثلاثة ملايين من الفرنكات .

وشاء حظ "روليش" التمس أن يشتبك في معركة حامية مع أحد رجال البوليس . أسفرت عن قتل الأخير فقبض على القاتل . وحوكم .. وحكم عليه بالسجن المؤبد مع الأشغال الشاقة .. ولما طال أمد الصمت قال "بيبير روليش" :

- إنك لا تذكريني كما أذكرك .. فإنني أذكر مثلاً أنك كنت تعرفين في الموسم الذي التقينا معا فيه باسم "الأميرة سوينوفيسكي" وأذكر أيضاً أنك كنت تعتبرين اقتراب رجل مثلي منك إهانة بالغة ..

وانفجر الرجل ضاحكاً .. ثم استلرد في سخرية :

- لكن لم الاحتقار أيتها الأميرة "سوينوفيسكي" .. إلا تربطنا رابطة الزمالة ..

فقالت الفتاة في هدوء عجيب :

أجئت إلى هنا للبحث عني ؟ ..

- لم أكن أعرف أنك هنا .. إنها المصادفة التي جمعتنا .. ولا شك أنك تتساءلين كيف هربت من السجن ؟ . وكيف الممت كل الإنام باللغة الإنجليزية .. ؟

ثم نهض .. وخلع معطفه .. ثم عاد إلى الجلوس .. واستلرد :

- من دواعي سروري أن تجمعني الأقدار مرة أخرى بصديقة ..

- ولماذا تدعوني صديقة ؟ ..

- كان الأنسب أن أقول منافسة ..

- حتى هذا ليس صحيحاً ..

- اكذبني ما طاب لك الكذب .. ولكنك لن تستطيعي خداعي . فاي

سبب غير السرقة يملك على دخول منزل كهذا ؟

- إنني أعمل لأعيش كأي امرأة شريفة .. ألم تات إلى هذا القصر
للسبب عينه ؟ ..

فكذف 'بيير روليش' ببقية لغافة التبغ من النافذة . وضحك
ساخرا .. ثم أجاب :

- يا لك من امرأة ! إنني بغير شك رجل شريف وفي استطاعتي أن
أطلعك على الوثائق التي تثبت ذلك .. ولكنني تريتت عامين في انتظار
أن تواتيني مثل هذه الفرصة فلما لاحت أخيرا وجدت فيك أسوأ
منافسة .. ولو أنك كنت رجلا لقتلتك بغير رحمة وبغير إبطاء كي لا
تعترضني سبيلي .. ولكنك امرأة ، وامرأة جميلة .. فمن الحكمة إن أن
تشكريني لأنني ساعفو عنك ..

فرمقته بنظرة تنطوي على الاحتقار ، وقالت :

- ولماذا أشكرك ؟ ..

- لأنني رضيت بالسجن دون أن أذكر أسماء شركائي ..

- ولماذا لم تذكرهم ؟ ..

- لأنني أريد شيئا معيناً من كل فرد منكم .. فهناك مثلاً ذلك
التمساوي 'جيراف فون شونبيرن' .. كنت أخره كمورد للمال إذا اتيح
لي الهروب من السجن ، وذلك الإنجليزي الذي كان وصياً عليك أعني
الكولونيل 'أولجفي' ، صحيح أنه كان مقامراً ، ولكنه كان سخياً أيضاً
بيد أنني لم أكد أظفر بالحرية حتى فقدت أثر الرجلين معا .. ومن
يبري لعلهما لقياً حتفهما .. وحدق الرجل إلى وجه الفتاة بقحة
واستطرد : ولكنني كنت سعيد الحظ .. فعثرت عليك أخيراً ..

- إذا كنت في حاجة إلى المال فقد نضب مني معينه .. وإذا أردت
المعونة فإني أرفض أن أقدمها إليك .

- إنكم معشر الارستقراطيين قوم متعجرفون .. لكن اعلمي أنني كنت
في بدء حياتي صياد سمك ، ووقعت في حب امرأة ، ورحلت إلى
بروكسل في أثرها .. فلما سخرت مني قتلتها خنقا .. فلا تلجئيني

إلى استعمال هذه الوسيلة المخيفة معك يا أنسة 'دوبين' ..

وأشعل الرجل لغافة أخرى من التبغ .. ثم استطرد :

إنني لست في حاجة إلى مساعدتك .. فقد أعددت لكل شيء عدته ..
وإذا لم يكن معك مال ، فهذا أيضاً لا يضيرني في شيء ، ولكنه لا
يعفيك من الوفاء بالدين الذي تدينين به إلي ..
فصاحت الفتاة في غضب :

- إنك تهذي يا 'بيير روليش' .. فإنا لا أدين لك بشيء ، ولكن ثقب
أنتي لن أعرقل عمك ، طالما كان ذلك العمل شريفاً .. أما إذا أقدمت على
السرقة فستسبني إلى كل الإساءة .. وعندئذ لن يسعني أن أقف مكتوفة
اليدين .

فقال الرجل في إصرار :

- اليس دينا إنقاذي إياك من السجن ؟ وهلا يساوي هذا الدين اجرا
كبيراً ؟

- لو كان معي مال لأعطيتك ، أما وأنا لا أحصل على قوتي إلا بالعمل
الشاق .. فلن أستطيع إذن أن أعطيك شيئاً .. وإذا كنت قد عاملتني
فيما مضى بكرم وسخاء ، فلماذا لا تظل على كرمك هذا الآن ؟ ..

- لم أكن يوماً من الأسخياء .. فالمال كان دائماً وأبداً هدفي في
الحياة ..! عجبني لك يا أنسة .. كيف ترتضين هذه الحياة الوضيعة ..
حياة الخادמות .. أنت التي كنت ترفلين في أثواب من النعمة والبراءة ؟
وهز كتفيه استخفافاً واستطرد : ما دامت هذه الحياة تروقك ، فليكن
لك ما تشائين .. ولكن ذلك لن يعفيك من الوفاء بالدين .. فرمقته الفتاة
بنظرة باردة ، وقالت في جمود :

- ليس لك علي سلطان حتى تطالبني بالوفاء بدين وهمي .

فأخرج الرجل صندوق الغائقة ، وأحصى ما فيه ، ثم قال :

- في هذا الصندوق عشرون لغافة .. فعندما أنتهي من تدخينها
فستأتين معي ..

ولم تدر الفتاة مرماه .. ولكنها كانت تعلم أنه لا يلقي القول على

عواهنه .. فإذا هدد فإنه ينفذ تهديده دون اعتبار للعواقب .. قالت:

- هل أنت راغب في العودة إلى فرنسا لتوفي ما تبقى من مدة سجتك ؟ إنهم لا يرفهون هناك عن المسجونين مثلما يفعلون هنا ..

- أعرف ذلك .. فقد خبرت الحالتين .. لا يا سيدتي .. إنني لا أريد العودة إلى فرنسا .. ولن أعود .. ولهذا قضيت الأعوام الخمسة الأخيرة في الدرس والتحصيل وتعلم اللغات الأجنبية حتى حدثت خمسا منها ، لأن اللص المهذب هو اللص الناجح .. واللغة الإسبانية من بين ما تلتقيت لأننا ذاهبون إلى إسبانيا ..

- ذاهبون ؟ لا شك أنك أصبت بالجنون يا 'بيير روليش'

- لا يا سيدتي ، لست بمجنون أو ثمل .. إنني اعني ما أقول فانت المرأة الوحيدة التي استطاعت أن تغزو قلبي منذ النظرة الأولى ، وقد عرفتك قبل أن تريني في غرفة مسز 'جرانت' ، ذلك أنني رأيتك تجلسين عند شاطئ البحر تطالعين كتابا ، فاخذت أترقب الفرصة لاتصل بك ، فلما دعنتي مسز 'جرانت' ، واستوثقت من شخصيتك ، خيل إلي أنك نسيتني تماما .. وقد سرني ذلك ..

فقاطعته في ضجر :

- لقد كاد الليل ينتصف ، وبدا الإعياء يثابتي فإذا لم تبادل بالانصراف فساستدعي الخادم لإخراجك ..

فابتسم الرجل ساخرا ، وقال :

- قد لا تصدقيني يا سيدتي إذا قلت لك إنني تعلمت الحكمة منذ افترقنا آخر مرة ، فإنني لم أكن لأجرؤ على دخول غرفتك ما لم أكن مطمئنا إلى قوة مركزي .. أن جميع الخدم يعلمون أنني من مفتشي البوليس ، وقد أصدرت إليهم أمرا بأن يناموا في أقصى جناح في القصر ، فإن أردت الفرار ، فالباب مغلق بالمفتاح ، وليس أمامك غير النافذة ، فاقفزى منها إن شئت ، فما أجمل أن يجد المرء مضجعه الأخير بين الورد والرياحين ..

انركت الفتاة انها وقعت في الفخ ، ولكنها حرصت على أن تظل رابطة الجاش ، فتميز الرجل غيظا ، ونهض واقفا ، وجعل يتقدم منها

وهي تتقهقر نحو النافذة فرات ضوءا أبيض كان ينبعث من قريب ..

قال 'بيير روليش' :

- هذا الضوء ينبعث من مصباح لنشي الأمامي ، وستراقبيني إلى هذا اللنش ، حيث يوجد ستة من البحارة تحت إمرتي ، وغدا أعود في طلب الجواهر التي استأجروني لحراستها ..

- هل تظن أنه في استطاعتك أن تحملني إلى اللنش عنوة دون أن يراك أحد ..

- نعم .. وسترين في الحال كيف أحقق ذلك ..

وقبل أن تستطيع الفتاة الدفاع عن نفسها ، انقض عليها ، وقبض على ثراعيها ، ثم وضع قطعة من القطن مبللة بالكلوورفورم على أنفها ، حتى فقدت وعيها ..

صعد 'كوبين' إلى غرفته في تلك الليلة في الساعة الحادية عشرة .. ولما كان يشعر بسام شديد ، فقد جذب مقعدا نحو باب الغرفة المظلة على المحيط .. وجلس عليه .. بعد أن أطلقا المصباح ، وفجأة رأى بقايا لغافة تبغ تكدف من النافذة التي تقع فوق نافذته مباشرة .. وبعد قليل القيت أخرى من النافذة .. فعجب لذلك .. وزاد عجبه عندما أشرفت الساعة على منتصف الليل ، وقد أحصى ما يقرب من اثنتي عشرة لغافة ..

وكانت الريح قد اشتدت .. فكدفت نحوه آخر لغافة .. فنهض ليتجنبها .. فسقطت فوق السجادة الثمينة .. وأحدثت بها ثقبا .. ولكنه أسرع فالتقطها ، وعندئذ وجدها من نوع عرف الفرنسيون بأنهم يولعون بتدخينه .. فقد رأى مستر 'جمبرت' يدخن واحدة منها منذ يومين .. وقد أخبره الرجل أنه حصل عليها من مستر 'بيتمان' .. ومن ثم ادرك أن 'بيتمان' هو ذلك المدخن المدمن .. ولما كان يعلم أن الرجل يشغل غرفة في الطابق الأول فوق باب القصر العام مباشرة ، فقد انتابته الدهشة لوجوده في الغرفة التي تعلقو غرفته ، خاصة وقد كان يعلم أن الأنسة 'دوبين' تشغلها ..

ونفض واقفا .. وخرج إلى الشرفة .. وأصاح السمع .. وعندئذ سمع شخصا يتحدث بالفرنسية .. وكان المتكلم رجلا .. وفي التو نشط

للعمل .. فتسلق عامودا حديديا كان مثبتا في جدار المنزل .. حتى إذا بلغ نافذة غرفة "لوبيين" .. شم رائحة الكلوروفورم .. ورأى "بيتمان" يشد وثاق الفتاة .. والمقاعد مبعثرة في الغرفة دلالة على حدوث معركة بين الاثنين .. وحمل "بيتمان" الفتاة بين ذراعيه .. وأطلقا النور .. ثم غادر الغرفة ..

وفي لمح البصر ، وثب "لوبيين" إلى داخل الغرفة ، وتسلسل منها إلى الدهليز .. وكان معتما .. ولكنه استطاع أن يسمع وقع أقدام الهارب على مبعده منه .

وفتح "بيتمان" الباب العام ، وهو يجهل أن "لوبيين" على بعد أمتار معدودة منه .. ومشى في الحديقة ، وهو يزعم العودة لإعادة تنظيم غرفة "لوبيين" بعد سجنها في إحدى قمرات اللنش .. وبعد أن قطع "بيتمان" نصف المسافة بين القصر واليخت شعر بثقل حمله .. فتوقف عند أريكة من الرخام مدد عليها الفتاة .. عندئذ أصابته لكمة ساحقة على مؤخر رأسه .. فهوى إلى الأرض كتمثال من الصخر .. فإحد الرشده .. وأسرع "لوبيين" يفك وثاق الفتاة .. وقيد "بيتمان" بالحبال وكعمه ، ثم حمله بين ذراعيه وقذف به من فوق سور حديقة القصر المجاورة لقصر آل "بايسون" .

أحست "لوبيين" ببرودة الماء على وجهها ، ففتحت عينيها ، وسمعت صوت "لوبيين" ، ولكنها تذكرت في الوقت نفسه ما لقيته على يدي "بيتمان" فاستولى عليها الغزع ، وحاولت أن تنهض ، ولكن "لوبيين" قال لها في صوت رقيق :

- لا تخافي يا بنيتي العزيزة ، فقد رحل الشقي .. فصاحت :

شكرا لله ! هل أنت واثق من أنه رحل ؟

- لقد شددت وثاقه ، وقذفت به إلى هذه الحديقة .. وعاونها على النهوض ، فصاحت في لهفة :

- ينبغي أن أغادر هذا القصر في التو ، لقد عرفني ، ولم يتورع عن مصارحتي بأنه جاء إلى هنا بقصد السرقة ، فإن وشيت به لمسز "جرانت" فسيثار مني حتما ..

- ولكن إلى أين كان ذاهبا بك ؟ ثم لماذا خدرك ؟ ..

فاشارت الفتاة بفرع إلى الضوء الذي كان ينبعث من بعيد ، وقالت :
- أترى هذا الضوء ، إنه ضوء مصباح لنشبه ، وقد كان يعتزم الذهاب بي إليه وتركبي في حراسة أعوانه إلى مساء الغد ، لأنه كان مزعما العودة إلى القصر غدا لارتكاب سرقة كبيرة ، حتى إذا تحقق له ذلك ألق بيخته في الحال إلى جنوب أمريكا .. وانتفضت ، فقال "لوبيين" :

- ليثني دقت عنقه ، والآن ، من المجازفة أن تعودني إلى القصر ، فما رأيك أن تذهبي إلى منزلي في "سنترال بارك" ؟ ! إن مديرة منزلي امرأة طيبة القلب ، وسوف تجدين هناك زائرا آخر ، هو زوج مسز "جرانت" السابق ذلك الزوج التعس الذي راح ضحية هذه المرأة الطموح ، إنه محتجب عن العالم حتى تصبح الدنيا مكانا آمنا بالنسبة إليه .

فوافقت بعد إلحاح وحينئذ ، مضى بها "لوبيين" إلى الجراج وأخرج سيارته ، ودفعها زهاء الخمسين مترا بعيدا عن القصر ، ثم أدار المحرك ، وانطلق بها ..

وفي الطريق سألته الفتاة كيف استطاع إنقاذها ، فحدثها بقصة اللغائف ، فحدثته بدورها بما دار بينها وبين "بيير" وختمت قصتها قائلا :

- إنني لا أمن جانبه ، فهو وإن كان لن يستطيع العثور علي ، ولكنه قد يعرفك ..

فقال "لوبيين" بتوكيد :

- لا أظن ذلك ، لأنه لم ير وجهي عندما صرغته ..

وفي الطريق اتصل "لوبيين" بمديرة منزله تليفونيا وطلب إليها أن توظف الكابتن ليستقبل فتاة سيحضرها معه بعد قليل وتعد القهوة وبعض الشطائر ..

عندما استأنفا رحلتها حدثها "لوبيين" بقصة الكابتن "ساتون" .. وقد استقبلتهما مسز كيني لدى باب المنزل بترحيب شديد .. وكان الكابتن "ساتون" في انتظارهما في غرفة الجلوس ، فحظ لاستقبالهما .. وبعد

ان قام 'لويين' بعهمة التعارف بينهما قال:

- ستقيم الأنسة 'دوبين' هنا حتى تستقر شؤونها ..

وقالت الفتاة في بساطة :

- إنني مدينة بحياتي لمستر 'مارتن ديل' ..

فقال 'ساتون' :

- ذلك عهدي به دائما .. فهو يحاول الآن إنقاذ حياتي ايضا ..

فضحك 'لويين' ، واستأذنت الفتاة لترجيل شعرها بعد ان افسد

الريح تشييقه فلما خرجت قال 'لويين' للكاتبين 'ساتون' :

- ينبغي ان تنسخ هذه الوثيقة بخطك ..

واقدم إليه ورقة تحتوي على ست فقرات مكتوبة بالقلم الرصاص، كل

منها مكون من بضعة أسطر ..

وما كاد 'ساتون' يقرأها ، حتى أدرك أنها خطابات تهديد موجهة

إلى 'بايسون جرائت' فصاح مشدوها :

- انا لا أفهم معنى هذه الرسائل ..

فضحك 'لويين' ، وقال :

- اما هو فسيفهمه جيدا .. إن هذه الرسائل لتحطيم اعصابه ..

فكتب 'ساتون' كل فقرة على ورقة منفصلة .. تناولها 'لويين'

ووضعها في جيبه ، ثم قال :

- ساعود إليك قريبا لاطلعت على بشائر هذه الحالة .. وفي خلال ذلك

أرجو ان تسهر على سلامة الأنسة 'دوبين' .. وساترك لها الحديث عن

نفسها ..

فقال 'ساتون' :

- ما احسبك تعني أنها ممن يعملون ضد القانون ؟ ..

- بل هي منهم .. ولو عرفت كيف استطاعت ان تخدعني لأدركت مدى

ذكائها وسعة حيلتها ..

واقبلت الأنسة 'دوبين' في تلك اللحظة فقطعت عليهما الحديث ..

وقبل ان ينصرف 'لويين' ، قال للفتاة :

- اكتبني استقالتك من خدمة مسز 'جرائت' ..

وفي اثناء ذلك .. ذهب 'لويين' إلى مسز 'كينني' في المطبخ .. ودفع

إليها برزمة من الأوراق المالية قائلا :

- لقد قلت لي انك اشتغلت حائكة ثلاثة أعوام .. فخذني إذن مقاس

الأنسة 'دوبين' ولكن لا تدعي لها ان ترى ما تفعلين .. ثم انهبي إلى

أحد الحوانيت المحترمة واشتري لها بعض الثياب الفاخرة ، واقتنعيا

بارتدائها ، فإني اعرف هذه الفتاة فهي من بنات الأسر العريقة التي

اناخ عليها الدهر بكله ..

وعندما عاد إلى غرفة الجلوس ، كانت الأنسة 'دوبين' قد فرغت من

كتابة استقالتها واعتذرت لمخدومتها السابقة بأن بعض الأمور

العائلية اضطرتها إلى الرحيل بغتة إلى مدينة 'سان دييجو' في

كاليفورنيا .. وغادر 'لويين' المنزل .. واستقل سيارته .. وأطلقها

باقصى سرعتها .. فلما بلغ قصر آل 'بايسون' ، أدخل السيارة في

الحظيرة في حذر تام .. ثم تسلل إلى القصر ، ووضع كتاب استقالة

'دوبين' على منضدة في الرهبة وصعد إلى غرفة الفتاة ، فأعاد

تنظيمها .. ثم جمع حاجاتها ونقلها إلى غرفته ثم ذهب إلى غرفة

مستر 'جرائت' ورس إحدى رسائل التهديد التي كتبها 'ساتون' تحت

بابها ثم أوى إلى فراشه واستسلم للنوم ..

الفصل الحادي عشر

اعتاد أنتوني تورب أن يطعم كلاب الحراسة بيده .. ففي صباح اليوم التالي خرج الرجل إلى الحديقة لإطعامها ، ولكن شد ما راعه أن وجدها جميعا ممددة على الأرض جثثاً هامدة .. وأدرك الرجل أن ثم حدثا جليلا قد وقع ، فمضى يبحث عن مستر بيتمان لينهي إليه النبا ولكنه لم يجده في غرفته .. كما أن فراشه كان منطلما دلالة على أنه لم يتم فيه .. ولو عرف الرجل ما حل ببيتمان لذعر ، وتولته الدهشة البالغة ..

فعندما افاق بيير روليش من إغمائه وجد نفسه مشدود الوثاق ، ومكهما ، ولكن رائحة الخضر دلته على أنه ملقى في إحدى الحدائق أو الحقول ، وأدرك في الحال أن الرجل الذي صرعه لا يمكن أن يكون رجلا عاديا ، وأنه شريك للفتاة التي كاد ينجح في اختطافها .. ثم إنه اعتقد أن مجيء الفتاة إلى القصر ، وانتحالها صفة مدرسة للغة فرنسية إن هي إلا حيلة كانت تستر وراءها أغراضها الحقيقية ..

وسرعان ما أدرك أن العثور عليه ملقى في هذا المكان ، مشدود الوثاق ومكهما ، من شأنه أن يضع حدا لأماله .. لأنه سيدل مخدوميه على أنه لا يصلح للعمل الذي أنيط به .

وتذكر بيير روليش حادث بصمات الأصابع .. وخشي أن يكون الشاب 'مارتن ديل' من هواة محترفي البحث الجنائي ولكنه شعر بالارتياح عندما تذكر كيف انتصر عليه وجرده من مجموعة بصمات أصابعه .. ولو عرف الحقيقة لطار صوابه .

فلما فشل تورب في العثور على بيتمان ، دعا أحد مساعديه ، واسمه 'ريجان' ، ومضى به إلى الجراج .. وقال له :

- لقد قتلت الكلاب بالسسم .. ويقىني أن اللصوص هم الذين فعلوا ذلك ، فأبحث في أرجاء الحديقة بينما سأنطلق أنا إلى القصر ، واقتشه ..

* * *

وفي الساعة التاسعة استيقظ بايسون جرانت من نومه على أتم ما

- حسنا .. لا تقل ذلك لاحد حتى يعود مستر بيتمان . فابعث به
المقابلتي .

وبعد انصراف كبير الخدم التقى بمديرة المنزل في الردهة فقالت له :
- ما اعجب هذا .. لقد رحلت الانسة "توبين" دون ان تاوي إلى
فراشها .. وعثرت على هذه الرسالة فوق المنضدة الموضوعة في الردهة .
وفي تلك الاثناء ذهب "جرانت" لمقابلة زوجته في غرفتها . ودهشت
المرأة في بادئ الامر . ولكن لم يلبث القلق ان استحوذ عليها عندما
سمعت نبأ اختفاء "بيتمان" .. ثم ذعرت عندما عرفت بموت الكلاب
بالسم . ولكنها قالت لزوجها مشجعة :

- لا حاجة بنا إلى القلق .. فسيعود بيتمان بغير شك .
فقال في اکتئاب :

- إن غيابه لا يزعجني البتة .. إنما أقرني هذه ..
وما كادت المرأة تقرأ الرسالة حتى هتفت :

- إنه بغير شك خط قرانك ..
فصاح الرجل :

- وهل في ذلك من شك .. لقد دسها تحت بابي وأنا نائم .. يا إلهي !
ألا ترى يا "ناتيك" كيف كان في استطاعته ان يقتلني لو أراد .. أكبر
الظن أنه حاول فتح الباب ، ولما لم يوفق ترك لي هذه الرسالة .
فقالت "ناتيك" في ازدياء :

- على كل حال ، إنك لا تزال حيا ترزق .
- وهو ايضا حر طليق .. فيجب ان نفعل شيئا وإلا أصابني

الجنون .

- ولما رأى نظرة الغضب التي ارتسمت في عيني زوجته ، أسرع
يقول : - إنني اعترف بانني مذعور .. وما أحسبك تلوميني على ذلك ،
ما دامت جميع وسائل الحيطة التي اتخذناها لم تجد فتىلا .
ودق جرس التليفون في تلك الاثناء ، وبعد أن وضعت "ناتيك"
السماعة ، رأى زوجها علامات القلق بادية على وجهها ، فادرك أنها
تلقت انباء لا تسر .. ولما سألها ما خطبها . اجابته عابسة :
- أنا لا أستطيع ان أفهم ما معنى هذا كله .. لقد رحلت الانسة

يكون من النشاط ولكنه ما كاد يستوي جالسا في فراشه حتى رأى
رقعة من الورق تحت باب الغرفة فدهش ، وهبط من سريره ..
والتقطها في تراخ وكسل .. ولكنه ما كاد يقرأها حتى تهالك على
أقرب مقعد ، متخاذل الساقين .. مرتعد الأوصال ..
وعاد يقرأ الرسالة : "لا تظن أنني غافل عنك .. وأعلم أنني أقرب إليك
مما تظن فانتظر الأيام السوداء المقبلة ..

ف . و . س .
طغى الخوف على قلب "بايسون" عندما أدرك أن كل أسباب الحذر
وأشكال الحراسة التي أحاط نفسه بها لم تفلح في رد "ساتون" عنه . إن
بمآذا يمكن تفسير وجود هذه الرسالة تحت بابه إلا إذا كان كاتبها
موجودا فعلا في القصر ؟

والتقط سماعة التليفون ، وقال لـ "ثورب" :

- ابعث إلي بمستر "بيتمان" في التو ..
فاجاب كبير الخدم :

- إن مستر "بيتمان" غير موجود في القصر يا سيدي ، ولم نستطع
أن نعثر عليه في أي مكان . فقد بحثنا عنه لأنني عثرت على الكلاب
ميتة بفعل السم في الحديقة ، فخشيت أن يكون اللصوص قد سطوا
على القصر ..

فاجفل "جرانت" لهذه الأنباء المزعجة .. وهتف :

- وهل بحثتم عنه جيدا ؟
- لقد فُتشت جميع غرف القصر ، ولكنني وجدت كل شيء على ما

يرام ..

فصاح "جرانت" في غضب :

- ولكنهم دخلوا القصر أيها الاحمق المغفل . ولدي ما يثبت ذلك .
ووضع السماعة في عنق . ولكنه ما لبث أن رفعها مرة أخرى
واستدعاه إليه .

ولما جاء الرجل سألته :

- هل أنت واثق من أن الكلاب ماتت بالسم ؟
- نعم يا سيدي .

دوبين . وقالت مسز 'برودين' إنها ستبعث إلي بكتاب استقالة تركته الفتاة قبل رحيلها فوق منضدة الردهة .
فصاح 'جرانت' في ياس :

- يا إلهي ! ينبغي أن نستدعي البوليس لتولي التحقيق ..

وجاءت إحدى الوصيفات باستقالة 'دوبين' ، وفيها تعتذر الفتاة عن اضطرارها إلى الرحيل بغتة وترجو إرسال مرتبها إلى عنوانها في 'سان ديجو' في كاليفورنيا ..
فقال 'جرانت' :

- إن الاستقالة لا غبار عليها .. لكن العجيب أنها اضطرت إلى الرحيل على هذه الصورة المفاجئة .. يا لله يا 'ناتيك' ! لا يجوز أنها رحلت مع 'بيتمان' ؟ إنه ليس أمريكي المولد كما تعلمين .
قامتق وجه 'ناتيك' . وأدرت أن اختفاء الرجل والفتاة معناه بغير شك أنهما سرقا بعض جواهر ضيوفها ..

وارتدت المرأة ثيابها على عجل .. ثم هبطت مع زوجها إلى غرفة المائدة . وكان المدعوون قد انتظموا حولها .. ولم يذكروا شيئا عن موت الكلاب لأنهم كانوا يجهلونه .. كما لم يأتوا على ذكر اختفاء 'بيتمان' لأنهم اعتادوا غيابه .. ولم تطرق أحاديثهم غير أبواب السياسة ..
ومع أن 'كوبين' لم يزم إلا وقتنا قصيرا ، فإنه حرص على الانضمام إلى المدعوين .. فقد كان يرجو أن يسمع ما هنالك من أنباء عن 'بيتمان' .. وأن يرى تأثير رسالة 'ساتون' التهديدية على 'بايسون' ..
وإذا كان رحيل 'دوبين' قد ترك مجالا للتعليق والتعقيب ..

ولكن 'جرانت' كان يحرص على أن يبدو تام الهدوء .. على الرغم من اللقلق الخفي الذي كان مستحوذا عليه ..
وبعد أن تناول المدعوون الطعام صعدوا إلى غرفهم .. فزارت 'ناتيك' السيدات منهم في غرفهن .. ولما اطمانت على حليهن .. سري عنها قليلا ..

وعند الظهر عثر البستاني على 'بيتمان' في حديقة القصر المجاور .. ذلك أنه كان يشذب بعض الأشجار عندما رأى الرجل ملقى على الحشائش ..

وكان من حسن حظ آل 'بايسون' أن الضيوف غادروا القصر إلى نزهة خلوية .. وبعد أن ضمد 'بيير' جرحه .. قال لمضيفه إنه ارتاب في وجود بعض الغرباء في الحديقة .. فخرج ليتحرى حقيقة الأمر .. وعندئذ انقض عليه عدد من الرجال وبعد معركة عنيفة استطاعوا أن يصرعوه .

فساله 'جرانت' :

- هل تستطيع التعرف على أحد منهم ؟

ولكن 'بيير' عجز عن ذلك .. قال فقط إن أحدهم كان رجلا طويل القامة مفتول الساعدين وأنه كان أكثر الجميع نشاطا ..
وما كان 'جرانت' يسمع ذلك حتى فلن أن هذا الرجل هو 'ساتون' بعينه .

واستأن 'جرانت' لياخذ قسطا من الراحة ، ولما انصرف ، قالت 'ناتيك' لزوجها :

- إن قلبي يحدثني بأن 'فرانك' لم يكن بين هؤلاء الرجال ، فينبغي إذن أن تبحث عن الوسيلة التي استخدمت لإيصال رسالة التهديد إليك ، لقد اتضح أنني أخطأت حين قدرت أن 'دوبين' رحلت مع 'بيتمان' فما الذي دفعها إلى هذا الرحيل المفجائي؟ لعلها جاءت إلى منزلنا للتجسس . ولما كانت قد رحلت في جوف الليل ، والجميع نيام ، أفلا يجوز أنها هي التي وضعت الرسالة التي كتبها 'ساتون' أسفل باب غرفتك؟

- هذا محتمل ، لكن من الذي صرع 'بيتمان' ؟ لقد وصف لنا 'فرانك' وصفا دقيقا ، وهو لم يره من قبل على الإطلاق .

- إن وصفه ينطبق على أي رجل طويل القامة ، ولكن يحتمل أنني أخطأت حين قلت إن 'فرانك' هرب إلى جنوب أمريكا ، مهما يكن ، فلا يجب أن تدع الغزع يحطم أعصابك . فما أحسب إلا أن 'فرانك' رمى إلى إلقاء الذعر في قلبك ، فينبغي أن تقابل تحديه برباطة جأش حتى يدرك أنك غير خائف منه ، ولا سبيل إلى النيل منك .

وإزاء هذه الأقوال المطمئنة سري عن 'جرانت' قليلا . وبينما كان الجميع يتناولون طعام الغداء قال 'كوبين' :

- إنني لم أر الكلاب اليوم ، مع أنها اعتادت أن تطل علينا من خارج باب الشرفة في أثناء الطعام .

ولم يستطلع مستر 'جمبرت' أن يمسك لسانه ، فقال :

- لقد سمها شخص معين ليلة أمس ، يبدو أن ذلك من عمل اللصوص . !

فتدخلت 'ناتيكا' في الحديث قائلة :

- يسرني أن الأمر وقف عند هذا الحد ، والرأي عندي أن البستاني هو الملولم ، فلا ريب أنه قدم بعض الحشائش السامة خطأ إلى الكلاب .

- فقال 'جمبرت' :

- ولكن الكلاب لا تاكل الحشائش .

- ولم لا ؟ يجوز أنها اكلتها خطأ .

وتشعب الحديث ، فقال أحد الضيوف إنه لا يستبعد أن يكون موت الكلاب مقدمة لسطو إحدى العصابات على القصر ، ومن المحتمل أن يعقب ذلك هجوم العصابة في الليلة المقبلة بعد أن خلا لها الجو .

فصاح 'جرانت' في فزع وغضب :

- لا ريب أنك تهذي يا سيدي ..

ولكن 'لويين' قال مؤيدا المتكلم :

- أظن أن مستر 'بروستر' لم يتعد المنطق في تقديره .

وقال مستر 'بروستر' في حماس :

- مهما يكن ، فقد قررت أن أنقل جواهر زوجتي إلى أحد مصارف أسبوري .

ولكن زوجة مستر 'بروستر' رفضت أن تأخذ بهذا الرأي ، واحتدمت المناقشة بين بعض الأزواج وزوجاتهم وعندئذ قال رب الدار :

- لا تجزعوا أيها السادة .. فقد أمرت أكثر الخدم بتناوب السهر وحراسة القصر ، كما أعددت أجهزة إنذار قوية .

وصاح مستر 'جمبرت' :

- وأنا أيضا ساقضي الليل في حراسة القصر من الداخل .

ثم تحول إلى 'لويين' ، وقال له :

- وانت ؟

- ساحرته من الخارج .. فأبني أمقت من يسمون الكلاب .

فتهلل وجه مستر 'جرانت' ، وصاح :

- هذا برنامج عظيم إنني موافق عليه .

وارتاح 'لويين' لهذه الخطوة ، فإن أحدا لن يرتاب فيه إذا رآه يتجول في الحديقة والقصر في أثناء الليل .. خاصة ، وقد كان يعلم من

'دوبين' أن 'بيير روليش' سيقوم بالسطو على القصر في تلك الليلة ..

الفصل الثاني عشر

كان مستر بيتمان يلقى نظرة على البارومتر في الردهة الخارجية عندما مر به لوبين فنظر إليه لوبين بدوره ، وقال :

- يبدو أن عاصفة توشك أن تهب ...

- هذا ما أخشاه .

- ولماذا تزعجك العواصف !

- إن الرعد يسبب لي صداعا .

والواقع أن بيبير روليش كان يخشى العاصفة .. لأن هبوبها يحول دون اقتراب لنشئه من الشاطئ ؛ أو بلوغه في عرض البحر بقارب صغير .. وقد زاده قلقا اعتقاده أن الرجل الذي صرعه ليلة أمس ليس إلا أحد أفراد العصاة التي تتزعمها الكونتيس وأنه من المحتمل أن يكون هذا الرجل له بالمرصاد ..

وكانت ربة الدار قد دعت ضيوفا جندا ، واعتزمت أن تقيم حفلة رقص في تلك الليلة ، ومع أنها أعطت بيبير روليش قائمة بأسماء المدعوين ، إلا أن هذه القائمة لم تكن كاملة .. لأن ربة الدار ركزت في دعوتها على بعض الأشخاص البارزين أن لهم مطلق الحرية في أن يحضروا معهم بعض أصدقائهم . ولما كان بيبير يعلم أن شركاء الكونتيس القدماء ينتمون إلى الطبقة الأرستقراطية ، فإنه لم يستبعد أن يندس بعضهم بين المدعوين ، ويفسدوا عليه خطته ..

وبعد كثير من التفكير .. رأى بيبير روليش أنه في حاجة إلى شخص مسلح يرافقه بعد خروجه من المنزل بغنيمته حتى يصل إلى اللنش ..

قال لوبين بعد قليل من الصمت :

- إن الزئبق أخذ في الارتفاع .. وهذا معناه تأجيل هبوب العاصفة إلى حين .. وفي ذلك ما يدعو إلى الارتياح .

كان بيبير روليش يشعر بالنفور نحو لوبين .. ولكنه لم يستطع أن يعلل ذلك الشعور .. قال له :

- لماذا تقلقك العاصفة ؟

- أنت تخاف من الرعد .. وأنا أخاف من البرق !!

فقال "بيير" :

- إن الرعد يسبب لي سوء هضم ليس إلا .. وأنت تعلم أنني أعاني الإمساك .. !!

وأقبل مستر "جمبرت" في تلك اللحظة وقال لـ "بيير" :

- خير لك أن تخفي ائمن أشيائك ، فقد يزورنا بعض اللصوص الليلية .

وبعد تردد ليس بالقصير قال "روليش" :

- ماذا تعني يا سيدي ؟

- ما دمنا نتوقع إقدام بعض اللصوص على اقتحام القصر !

فقد قررنا أن أقضي الليل ساهرا للحراسة ..

فقال "روليش" في برود :

- قد يكون الأمر خطيرا !!

فقال "لوبيين" :

- لا اظن ذلك .. إنني ذاهب الآن للسياحة .

ثم ابتعد عن الرجلين .. فقال "جمبرت" :

- مادمت من رجال البوليس الخاص .. فأنت ملم إذن بحيل رجال

العصابات .. فهل تراهم يسيرون مثنى مثنى ؟

- ليست وسائلهم محدودة . وإنما الغالب أنهم يتركون رجلا واحدا

في الخارج للمراقبة .. وفي بعض الاحايين يتركون اثنين .

- إن مراقبة الحديقة من عمل مستر "ديل" .. فقد عهد إليه مستر

"جرانت" بهذه المهمة ..

فقال "روليش" وهو يتكلف عدم الاهتمام :

- أرجو أن تزيدني إيضاحا ..

فذكر "جمبرت" الحديث الذي دار حول مائدة الغذاء .. وسقط في يد

"بيير" فهو لم يكن يقيم وزنا لحراسة "جمبرت" .. أما وجود شاب مثل

مستر "مارتن ديل" خارج القصر فامر سيسبب كثيرا من المتاعب بغير

شك ، وراح يلعن "الكونتيس" ويلعن نفسه .. فلو انه تركها وشأنها ،

لما حدث ما حدث .

وبيئنا كان يسير على مقربة من الجراج .. رأى "لوبيين" يخرج سيارته .. فقال له :

- هل ستعود ؟ ..

- بالتأكيد .. إنني فقط ذاهب إلى "آسبوري" لشراء ثوب استحمام ..

هل تريد أن ترافقني ؟ ..

فاجاب "بيير" :

- هل نسيت أنني مضطر إلى البقاء لآداء واجبي ؟!

وبعد ساعة ذهب "روليش" إلى الحمام .. فوجد "لوبيين" يسبح .. ولما

اطمان إلى صدقه كر راجعا إلى القصر ..

وأما "لوبيين" فكان يرمي من السباحة إلى التحقق من مدى غور الماء

على مقربة من القصر .. ولم يلبث أن أدرك أن البقعة المقابلة تصلح

لرسو اليخوت واللنشات .

فلما عاد إلى القصر لم يجد أغلب المدعويين ، إذ كانوا يلعبون

الجولف ، فقط وجد "كاترين هولاند" واقفة في الشرفة فانضم إليها .

سألته :

- هل حقا ستحرس القصر الليلة ؟

- لا ، لنضع الحراسة لـ "جمبرت" إذا شاء ، أما أنا فساغلق بابي علي ،

واستسلم للنوم العميق ..

فقال المرأة في أسي :

- لقد كنت أعتقد أنك ستبر بوعدك . ولو كنت رجلا لفعلت .

- لو كنت رجلا لما جازفت بالتعرض للقتل رميا بالرصاص ، إن

الحديقة غاصة بالأشجار التي تصلح لاختباء القنلة .

- ومع ذلك فإن من يراك وانت تلعب البيولو يعتقد أنك رجل مقدم

وجريء .

- يجوز ، ولكن اللعب شيء والتعرض للموت شيء آخر .

ومضى إلى غرفته ليرتدي ثياب المساء ، وأخرج الرسائل التي كتبها

"ساتون" ، واختار منها رسالة أخرى استرعت اهتمامه أكثر من

سواها ، ثم خرج إلى الحديقة ، وبعد أن استوثق من أن أحدا لا يراه ،

لغ الرسالة حول حصاة ، وربطها بقطعة من الخيط ، ثم قذف بها من

خلال نافذة غرفة نوم مستر 'جرانت' . وشاء القدر أن تسقط على فراش الرجل .

وقبل أن يعثر 'جرانت' على الورقة ، كان 'لوبيين' قد تسلل إلى غرفة . أما 'جرانت' فقد عثر على الرسالة بعد أن ارتدى ثياب المساء ، وتهايا للذلول إلى الطابق الأرضي ..
وسرى الفزع إلى قلب 'جرانت' ، والتقط الرسالة بيد مرتعشة ، ونشرها ، وقرأ فيها ما يلي :

'مهما تتخذ من أسباب الحذر والحراسة فإن ذلك لن ينجيك من مخاليبي ، كل ما هنالك أنني أنتظر اللحظة المناسبة لانزل بك ضربتي القاضية ، وقد يكون ذلك الليلة ويحتفل أن أكون لك بالمرصاد خلف أي باب تفتحه ، أو في انتظارك عند أول ركن تدور حوله .

ف . و . س .

وركض مستر 'جرانت' إلى غرفة زوجته ، فذعرت وصيفتها عندما رآته يشير إليها بحركات جنونية لتغادر الغرفة . وصاح :

- انظري إلى هذه الرسالة ، لقد عثرت عليها فوق فراشي .

وبعد أن قرأت 'ناتيكا' الرسالة ، هتفت :

- وكيف وضعت هناك ؟

- لا ريب أن شخصا قذف بها من النافذة ؟

- على 'ريجان' أن يفتش الحديقة في التو ، ألم تأمره بذلك ؟

- لا .. لقد شل الفزع تفكيري .

فعصف الغضب بعسر 'جرانت' والتقطت سماعة التليفون .. وبعد أن أصدرت أوامرها إلى 'ريجان' ، التفتت إلى زوجها قائلة :

- لقد اتهمت 'دوبيين' خطأ ، فإنها ليست موجودة هنا الآن حتى يمكن أن نرتاب فيها .

- ألم أقل لك إن 'فرانك' على مقربة ؟ إنه يسخر منا الآن ، فهو يقول

إنني لا أستطيع دفع انتقامه .. يا إلهي ! ما أشد خوفي !!

فصاحت 'ناتيكا' في حدة :

- لا تكن أبله ، لقد ثبتت إدانة 'فرانك' وحكم عليه بالسجن فلا لوم عليك إذن من هذه الناحية .. إنني واثقة من أنه ليس موجودا داخل القصر أو على مقربة منه ، لأنه يعلم أن البوليس يبحث عنه ، على أنني واثقة ، على الرغم من ذلك ، أن للفتاة الفرنسية التي أوليتها لقتي ضلعا في هذه المهزلة .

كانت 'ناتيكا' تشعر بكثير من الاطمئنان ، لعلمها أن زوجها السابق رجل طيب القلب ، لا يلجا مطلقا إلى استعمال وسائل العنف . ولا يحمل لرجل أساء إليه أي ضغن ، ولكنها ، على الرغم من اطمئنانها النسبي ، بدأت تشعر بشيء من القلق .

وجاء 'تورب' ليقول أن 'ريجان' ومساعديه فتشوا القصر والحدائق بكل عناية ولكنهم لم يجدوا أثرا لدخيل .

وكان المدعوون قد بدعوا يقدون على القصر فهبطت وزوجها إلى الردهة الكبرى لاستقبالهم . وما كادت مسز 'جرانت' ترى بعض أفراد الطبقة التي تحرق لهفة للاندماج بينها حتى نسيت رسائل التهديد وتهللت أساريرها .

وقضى 'لوبيين' أغلب الوقت برفقة إحدى المدعوات ممن يتمنى كثير من الرجال أن يحظوا بنظرة من عينيها الساحرتين .

وعلى أثر انصراف آل 'بيكسل' بدأ المدعوون في الانصراف أيضا ، حتى إذا اشرفت الساعة على الثانية صباحا غادرت آخر سيارة القصر ، ولما جاءت الساعة الثالثة كان القصر يسبح في الظلام الدامس ، في حين بقي 'جمبرت' مستيقظا ، ويروح ويغدو في الدهاليز .

وراه 'روليش' في إحدى جولاته ، فلم يتمالك نفسه من الابتسام .. وطرق باب غرفة 'لوبيين' ، وبعد قليل سمع صوتا يغلب عليه النوم

يطلب إليه الدخول وعندما فتح الباب ودخل ، رأى 'لويين' ينهض من فراشه ، ويرتدي معطفاً منزلياً ، ثم يوافيه إلى غرفة الجلوس .

وقال 'لويين' لـ 'روليش' :

- إنك ثالث رجل يوقظني من نومي . فقد جاء مستر 'جمبرت' أولاً ، وطلب إلي أن انضم إليه للحراسة ثم جاء 'بايسون جرانث' يسألني لماذا لم أبر بوعدي . ثم هانت قد جئت .. فماذا تسألني أنت أيضاً ؟

فابتسم 'روليش' .. وقال :

- ظننت أنك قد تكون راغباً في القيام بجولة في الحديقة ولما كنت ذاهباً لاداء هذه المهمة فقد عرجت عليك لاسالك أن ترافقتي إن شئت .

فقال 'لويين' في غضب :

- بل اذهب وحدك .. فيم هذا التامر للتضحية بي في سبيل حراسة منزل رجل غريب ؟ ثم ما شانك بالحراسة وأنت رجل مالي ؟

فقال 'روليش' في صوت حازم :

- لقد حان الوقت لإحاطتك بالحقيقة .. إنني من رجال البوليس الخاص . وقد استخدمتني مسز 'جرانث' للسهر على سلامة مدعوئها .

- أقول لك الحق إنني ما كنت أعتقد ذلك . ولعلي أنا الوحيد الذي لم يعرف هذه الحقيقة حتى الآن ..

- على العكس . إنك ومستر 'جمبرت' الزائران الوحيدان اللذان يعرفانها .

- وهل تعتقد أن هناك خطراً يلوح في الأفق ؟

- نرجو الا يكون هناك خطر البتة ، ولكني لن أنام الليلة ، وساراقب هذا الطابق بالذات لأن المدعوين يشغلونه وجميع جواهرهم فيه .. ولن أتردد في إطلاق النار على أي شبح متسكع دون أن أسأله من يكون ..

فابتسم 'لويين' . وقال :

- إذن فساغلق بابي بالمفتاح ، وهذا عمل لم أقدم عليه من قبل .

وانصرف 'روليش' .. وير 'لويين' بوعده ، فأغلق الباب بالمفتاح .

بيد انه سرعان ما نفّض عنه غبار النوم المصطنع .. وسحب حقيبة ثيابه . وأخرج منها ثوب استحمام أسود كان قد ابتاعه بعد ظهر ذلك اليوم وهو مصنوع من الصوف ويغطي كل الجسم .. ولما ارتداه وضع على رأسه قبعة طيار سوداء .. وتسلح بمسدس صغير ثم لبس قفازاً من المطاط .. وأطفا النور .. وتسلل إلى الشرفة .. ثم تسلق العמוד الحديدي إلى الحديقة .. وألقى نظرة نحو المحيط ، فرأى ضوء مصباح اللنش أبعد مما كان فادرك أن العاصفة قد بدأت تهب .. فهز رأسه .. وتمنى أن ينفذ 'انتوني ثورب' التعليمات التي زوده بها في أثناء النهار بدقة .

واقرب 'لويين' أخيراً من الحمام .. وما لبث أن رأى قارباً صغيراً مشدوداً إلى الشاطئ . وهو يتأرجح تبعاً لعلو الماء وانخفاضه .. وفيه رجل واحد يمسك مجدافين . فايقن أن هذا القارب في انتظار عودة 'بيير روليش' .

وكان راكب القارب منصرفاً إلى التحديق نحو القصر في انتظار الإشارة المتفق عليها بينه وبين 'روليش' حتى أنه لم ينتبه للشبح الذي مر سابحاً على بعد أمتار معدودة من القارب .. كما لم يشعر به رفاقه الموجودون على ظهر اللنش . فقد كانوا أيضاً منصرفين إلى التطلع نحو القصر في انتظار هذه الإشارة ليستعدوا للرحيل .

وبعد طول انتظار وصل 'روليش' إلى اللنش سابحاً .. وتسلل إلى ظهره .. وما كاد الريان يراه سالماً ومعه الغنيمة حتى أصدر أوامره بالرحيل .. ثم لحق به مع بعض البحارة فأخذ يعرض عليهم الغنيمة ، ولكنه حرص على إخفاء جواهر مسز 'ستروس' الثمينة عنهم . وهي نصيب الأسد .. وبعد أن فرغ من عرض الجواهر قدم لهم زجاجة من العصير ليشرّبوا نخب انتصاره .. وراح يحدثهم كيف كانت مهمته

حتى الصقّه بالجدار . وقال :

- لقد توليت امر اللنش بدلا منك فحذار ان يبدر منك أي صوت أو حركة .. وإلا قذفت بك إلى اليم ..

وفي لمح البصر ، التقط حبلا ، شد به وثاق الربان المبهوت وكممه .. ثم أدار عجلة القيادة ، وحول مقدم اللنش نحو الشاطئ ثانية . وساعدته الريح على الإسراع ، وظل 'لوبيين' يرقب الشاطئ عن كثب وهو يدير مقدم اللنش نحو الدرج الرخامي الذي أنشاه أصحاب القصر في حمامهم . حتى إذا اقترب اللنش من الشاطئ رفعت موجة قوية ، وقذفت به إليه .

وفي تلك اللحظة برز 'ثورب' ومعاونوه الستة من حظيرة السيارات القريبة وتكاثروا حول اللنش وقد عقدت الدهشة ألسنتهم .

وكان بحارة اللنش الثمانية قد صعدوا على ظهره بعد ارتطام اللنش باليابسة ، وما كادوا يرون رمل الشاطئ حتى أدركوا أن ثم خطر يتهددهم ، فوثبوا إلى الأرض .

وكانت تعليمات 'ثورب' التي تلقاها من 'لوبيين' تقضي عليه بعدم القبض على الرجل الذي يدعو نفسه 'بيتمان' عندما يغادر القصر كما أطلعه على أن الرجل لص وليس من رجال البوليس كما يزعم . لذلك تركوه ينطلق إلى الشاطئ ثم انتظروا عودة اللنش ليقبضوا على بحارته والواقع أن 'ثورب' ومساعديه راوا 'بيتمان' يأتي إلى الشاطئ ، ويستقل القارب ، ويقترب من اللنش ، بيد أن شدة النوء حالت بين التصاق القارب به ، فوثب إلى الماء ، وسبح نحو اللنش، ثم تسلق إلى ظهره .

فلما راوا اللنش يعود أدراجه إلى الشاطئ ، ويستقر عنده نشطوا للعمل ، واحاطوا بالبحارة الذين وثبوا إلى اليابسة .

وبقي 'بيبر روليش' على ظهر اللنش وحده ، وراح يراقب ما يحدث

هينة ، ويسخر من الضيوف وأصحاب القصر . وقد وجد البحارة في تصرف 'جميرت' وغباوته ما حملهم على الانفجار ضاحكين ، خاصة عندما علموا أنه هو أيضا لم يسلم من السرقة .

كان 'ثورب' أشد الناس حيرة في ذلك اليوم .. ففيما كانت حفلة الرقص على أشدها انتحى به 'لوبيين' ركنا منعزلا وقال له :

- اصغ يا 'ثورب' .. لقد وقعت على أثر الرجل الذي سم الكلاب وقد عرفت من تصرفاتك أنك تتمنى أن تراه ينال نفس الجزاء .

فصاح كبير الخدم في حماس :

- بودي لو تسنح لي هذه الفرصة .

- سوف أتيحها لك .. ولكن ذلك قد يستلزم أن تقضي الليل ساهرا .

- ولم لا ؟

- ثم إنك قد تتعرض للموت بطلق ناري .

- ذلك لا يخيفني .. ثم إنني أعرف كيف استغل مسدسي .

- لكن حذار أن تطلق النار علي خطأ ، لأنني ساقف في وجه هذا الشقي واحول بينه وبين ركوب البحر .. والآن اصغ لما ساقول .

وأصغى 'ثورب' لحديث 'لوبيين' وعلامات الدهشة البالغة تعلو وجهه . وختم 'لوبيين' حديثه قائلا :

- والآن تذكر أنك يجب أن تكونوا جميعا مدججين بالسلاح ، ومزودين بالمصابيح الكهربائية ، وقد لا تضطركم الظروف إلى استعمال المسدسات لكن يجب أن تقبضوا على كل رجل منهم !

كان ريان اللنش واقفا إلى عجلة القيادة ، وهو يفكر في حصته من الغنيمة ، عندما رأى نفسه يحرق بغتة في فوهة مسدس يشهده شبح غريب يرتدي ثيابا سوداء والماء يقطر منه ، كأنما برز من جوف البحر فجأة ..

وذعر الربان ، وتراجع إلى الوراء ، و'لوبيين' يضيق الخناق عليه

الفصل الثالث عشر

كان 'بيتمان' قد طلب إلى مستر 'جمبرت' أن يجلس في الرهبة المظلمة .. ويطلق النار على أي شبح يراه منطلقا ركضا . فقبل الكهل هذه المهمة عن طيب خاطر .. ولكنه ما لبث بعد نصف الساعة أن شعر بوفاة البرد فعول على الذهاب إلى غرفته لإحضار معطفه .. ولكنه ما كاد يبلغ الغرفة حتى رأى 'بيتمان' يتأمل خاتمه الماسي الثمين .. فاستحوذ عليه الغضب والدهشة معا . وقبل أن يفيق مما ألم به ، كان 'بيتمان' قد انقضض عليه ، وجذبه من ساقيه . فسقط الرجل وارتطم رأسه بالدولاب ففقد وعيه .

وعندما أفاق من إغمائه وجد نفسه مشهود الوثاق .. ومكعماً .. فحاول أن يتخلص من القيد . ولما لم يفلح ، أخذ يحرك شدقيه حتى تخلص من الكمامة ومن ثم بدأ يملا الجو صراخا حتى أيقظ النائمين ، وجعلهم يهرعون إليه في فرح ..

واكتشف رب الدار أن أسلاك التليفون الموصل إلى جناح الخدم قد قطعت .. واستولى الفرع بغتة على زوجته فمنعته من مغادرة غرفته .. ولكن ما كاد باب الغرفة يطرق حتى صاح رب الدار :

- ليس في استطاعتي أن أبقى هنا بينما يذبح بعض ضيوفي ذبح الشاة .

وانقضض على الباب وفتحه ، فإذا بالقادم مستر 'ستروس' .. وراح القادم يخبر الزوجين ببقدان الجواهر . وحدثهم عن الصرخات التي كانت تنبعث من غرفة 'جمبرت' ..

وإن هي إلا لحظات حتى عرفت مسز 'جرانت' أن جواهر أغلب ضيوفها قد سرقت ولما بحثت عن جواهرها لم تجد لها أثرا أيضا ..

على الشاطئ في اهتمام ، فخطر له أن البوليس قد أعد لهم كميناً ، ولكنه لم يكرت ، فلم يكن في إجراءات اللنث أي ماخذ ، ولكنه تذكر الجواهر التي سرقها فأسرع إلى مكانها وحملها إلى مخبأ سري كان قد أعد له هذه الغاية ثم ركض نحو مقدم اللنث ، وتطلع إلى الشاطئ ، فلما رأى البحارة مقبوضاً عليهم ، هتف في أسى :

- هذه يد القدر !!

وتحول عن سياج اللنث ، وعندئذ رأى شبحاً أسود منتصباً أمامه ، ويداها معقودتان فوق صدره ، ولما كان ممن يعتقدون في الخرافات فقد سقط ساعدها إلى جنبيه ، وخانته قواه .

أمسك 'لوبيين' بذراع 'روليش' في عنف ، وقال

- نعم إنها يد القدر !!

ولم يقاوم 'روليش' 'لوبيين' عندما فتشه ، ولم يحاول أي دفاع ، فقد أحس بقوة مسدسه تلتصق بصدرة .

واستطرد 'لوبيين' بعد قليل :

- هلم ارني أين أودعتها ؟ وإياك أن تخدعني وإلا أطلقت النار عليك . فصاح 'روليش' في وحشية ، فقد غاظه أن يكون الرجل الذي سخر منه هو الذي يهدده بالقتل :

- ماذا تقول ؟! هل تهددني بالقتل ؟

- أكبر ظني أنك لن تتيح لي هذه الفرصة الذهبية !

ومضى بعض الرجال إلى غرفة 'جميرت' وفكوا قيوده .. فطلق
يحدثهم عن نذالة 'بيتمان' .. ثم انطلق راكضا إلى غرف الخدم ، ولكنه
وجدها جميعا شاغرة ..

وبينما كان الجميع واقفين في الدهليز وقد عقدت الدهشة السنتهم
إذ حملت الريح إليهم صوت ارتطام اللنش بالشاطئ ، وأعقب ذلك
وميض عدد من الأضواء ودمدمة .

وركض 'جميرت' إلى الدرج وهبطه .. بينما صاح مستر 'بروستر'
من أسفل يقول إنه اتصل بالبوليس وأبلغه النبا .. فهرع الجميع إلى
الطابق الأرضي .

واقبل 'ثورب' في تلك اللحظة ، والدّم يسيل من جرح في وجهه ،
ويقود أمامه 'زوليش' وقد تورم أنفه وإحدى عينيه
وصاح 'جرانت' :

- يا للسماء ! هذا 'بيتمان' !!

وجاء بقية الخدم ، وكل منهم يقود أسيره أمامه ، وفي المؤخرة دخل
'لوين' إلى الردهة ، وهو بالزي الغريب وكان يحمل في يده حقيبة
ثياب ، ما إن فتحها حتى رأى المدعوون جواهرهم في جوفها ، وكمية
أخرى من الجواهر المشهورة التي كانت قد سرقت حديثا ..

واقبلت مسز 'ستروس' على 'لوين' ، وقبلته .. وصاحت :

- يا بني العزيز .. إنك مبتل من قعة رأسك إلى أخمص قدميك، يجب
أن تبادر بأخذ حمام ساخن ، وإلا أصبت ببرد شديد .

وتأمل 'جرانت' جميع الأسرى ، فلما لم يجد 'ساتون' بينهم تنفس
الصعداء ، وشعر بالارتياح الشديد ، ثم صاح دعونا نسمع القصة
أولا. ولكن 'لوين' قال معتذرا :

- إن رجال البوليس يوشكون أن يجيئوا ، ومن ثم فإنني أفضل أن
أسرد القصة مرة واحدة .

وصعد إلى غرفته حيث استبدل ثيابه . ولما هبط إلى الطابق
الأرضي كان رجال البوليس قد جاءوا .. وشرعوا في التحقيق ..

وادلّى 'لوين' بأقواله إلى المحققين .. ولكنه حرص على ألا يأتي إلى
ذكر 'الكونتيس' أو إلى ما قد يكشف عن أن لها ضلعا في الحادث .

وعلى اثر انصراف البوليس والعصابة ، راح المدعوون يمحطرونه
وابلا من أسئلتهم فقال يلخص لهم القصة :

- كان أول عامل دفعني إلى الريبة في أمر 'بيتمان' هو حادث الغلاف
المستعار وقد لاحظت بعد ذلك أن الرجل يكثر من الذهاب إلى حمام
السباحة ويأتي بإشارات غريبة مريبة من مصباحه الكهربائي ، وكان
يتلقى جوابا عنها ، إشارات من نوعها صادرة من لنش قريب ، فرحت
أراقب هذا اللنش عن كثب ... ولما رأيت 'بيتمان' ينظر اليوم إلى
البارومتر بقلق أيقنت أن الرجل يعتزم القيام بعمل ما لأن المد سيكون
عاليا الليلة . وقد تأثرته فعلا إلى الشاطئ ، ورايته يحرك مصباحه
بطريقة فهمت منها أنه يطلب إلى بحارة اللنش أن يكونوا على
استعداد .. ومن ثم عولت على العمل .. ورسمت خطتي ..

وشرح لهم كيف عهد إلى 'ثورب' بجمع رجاله ، وترقب وصول
اللنش إلى البر للقبض على بحارته .

وفي الساعة السادسة صباحا ، أوى جميع المدعوين إلى فراشهم ..
وكان 'بايسون جرانت' أشدهم مرحا .. إذ كان يعتقد أن 'بيتمان'
صنيعة 'ساتون' وأنه المسؤول عن الرسالتين اللتين وصلتا إليه .

الفصل الرابع عشر

بعد يومين استاذن 'لويين' من مضيغه واستقل سيارته إلى قصر 'فان بودن' .. فاستقبله خادم ياباني انباه أن مستر 'سويثن ويلد' سال عنه تليفونيا مرتين ، فانطلق 'لويين' إلى التليفون واتصل به في ناديه ، وضرب له موعدا ليتناولوا طعام الغداء معا ظهر اليوم التالي .. ثم اتصل بمنزله في 'سنترال بارك' ، وانبا مسز 'كيني' أنه حاضر إليهم في الساعة التاسعة مساء ..

وفي طريقه إلى منزله ابتاع نسخة من إحدى صحف المساء ، وشد ما راعه أن رأى صورته منشورة في صدر الصحيفة .. وقصة السرقة التي وقعت في قصر ال 'جرانت' .. مع تعليق مسهب من المحرر يشيد فيه ببسالته وجراته .

وكانت مسز 'كيني' قد ابتاعت لضيفيها نسخاً من صحف المساء .. طالعا فيها نبا الحادث فلما حضر 'لويين' راحا يعطرائه بأسئلتهما . ولاحظ 'لويين' أن 'دوبين' قد استردت اناقته وجمالها الساحر بفضل الثياب التي ابتاعتها لها مسز 'كيني' واقنعتها بارتدائها . وقضى 'لويين' زهاء الساعة وهو يجيب عن أسئلة الضيفين . وأخيرا سألته الفتاة .

- وماذا قالوا بشأن اختفائي ؟

- لم اسمع أحدا يذكر شيئا عنك .. فقد كان للرسائل الغامضة التي تلقاها 'جرانت' أسوأ الأثر في نفوسهم .

فيهتف 'ساتون' :

- إذن فقد أحدثت الأثر المنشود ؟

- لقد كاد عقل 'جرانت' يذهب بسببها .. وقد أقمت على مراقبته عن

كتب .. فلاحظت أنه يخشى الانفراد بنفسه . يفرط في الشراب بالنهار
وتعاطي المنومات بالليل . وقد كاد يصارحني ذات يوم بمتاعبه لولا أن
جاءت زوجته فقطعت علينا الحديث .. ولكنني واثق من أنه سيفعل ذلك
عن قريب لأنني جاد في تحطيم أعصابه رويدا رويدا . ويومئذ يضطر
تحت وطأة الغزع إلى كتابة اعتراف شامل .
فقال 'ساتون' :

- ليس في استطاعتي أن أتصور كيف ستوفق إلى إرغامه .
- دع ذلك لي ، فإنني مطمئن إلى النتيجة .

وتصادف أن غادر 'ساتون' الغرفة لبعض شأنه ... فسأل 'لوبيين'
الفتاة :

- إن دواعي الحذر توجب علي أن أسالك . هل يبحث عنك بوليس
هذه البلاد ؟

فأبتسمت الفتاة ابتسامة حزينة .. وقالت :

- نعم لقد أصدرت حكومة الولايات المتحدة أمرا بالقبض علي .. ولكن
البوليس هنا يعتقد أنني عدت إلى أوروبا منذ عدة سنوات . وأنني لا
أزال هناك .. ويوم صدر هذا الأمر كنت في واشنطن ، أنتحل شخصية
أخرى واتسمى باسم آخر .

وعاد 'ساتون' بعد قليل وانضم إليهما وراح يحدثهما عن الأيام
القلائل التي قضاها في الاستوديو ، وكيف تعلم فن التنكر ؟
وأخيرا نهض 'لوبيين' .. واستأذنها في الانصراف .

اجتمع 'لوبيين' بصديقه 'ويلد' حول مائدة الغداء في اليوم التالي ،
وكان 'لوبيين' يعرف أن جليسه شاب مغامر جريء . ومن ثم عول على
مصارحته ببعض أطراف مغامرته الحالية . وهو واثق أن الشاب لن
يتردد في بذل كل معاونة مستطاعة .. ومن ثم ظل يبدر دقة الحديث
بلباقته المعهودة حتى طرح حادث سرقة قصر ال 'جرانت' .. فقال

'ويلد' :

- يبدو لي من مطالعة التفاصيل أن هذا الحادث بالذات هو الذي
جعلك تقبل دعوة مسز 'جرانت' .

فقال 'لوبيين' إلى الأمام في مقعده وقال :

- لا .. إن ال 'جرانت' لا يزالون يجهلون زيارتي للقصرهما .

فقال 'ويلد' بعد قليل من التردد :

- إن كلامك عن الزوجين يوحي إلي بأنك لا تميل إليهما .

- بل إنني أبغضهما .. على الرغم من ترحيبهما العميق وحسن

ضيافتهما . والواقع أنني ما قبلت دعوتهما إلا لأنني أقسمت أن

أسوق الزوج إلى السجن .

فصاح 'ويلد' في احتياج :

- ولماذا ؟

- ليس الآن بالوقت المناسب لإطلاعك على السبب .. وعندما يحين

سألجا إليك وإلى بعض صفوتك في طلب المساعدة وقد تصطر إلى

التخلي لي مؤقتا عن منزلك الريفلي .

- إنني وما أمك تحت تصرفك .. فقط سأغيب أسبوعين في زيارة

أمي ، فإذا أرجأت المغامرة حتى عودتي ، فسأشترك فيها بكل سرور .

- هذا يلائمني .. إذ أكون في خلال تلك الفترة قد أعددت كل شيء ..

أما الآن فأصغ إلى أول طرف من خطتي . عليك أن تنتقل إلى منزلي

الريفلي وأن تبعث إلي ببرقية على قصر ال 'جرانت' فساعدوا إليه بعد

أسبوع .. واطلب إلي أن أزورك لبضعة أيام . وعندئذ سأبرق إليك

أسالك أن كان في استطاعتي أن أصحب معي 'بايسون جرانت' لأنه

مريض وفي حاجة إلى الراحة والاستجمام .. وليكن ذلك في اليوم

الخامس عشر من هذا الشهر .

ومع أن 'ويلد' حاول أن يستدرج 'لوبيين' للإفصاح ، إلا أن هذا أصر

على الصمت .

وافترق الصديقان على ذلك . وانطلق "لويين" لمقابلة صديق له مخرج افلام يدعى "هوراسي ويمز" .

وكان "ويمز" يدين لـ"لويين" بخمسة عشر الف ريال .. وظن انه جاء يساله الوفاء .. فلما انباه "لويين" بأنه لا يريد مالا سري عنه . وفادى الممثلات اللاتي كن يعملن في الفيلم الذي كان يخرجها وقتئذ .. وقدم "لويين" إليهن .

وقضى "لويين" بعض الوقت يتحدث إلى "ويمز" والممثلات في الشؤون السينمائية .. ثم اعرب عن رغبته في مشاهدة العمل في الاستوديو .. وركب الجميع سيارة "لويين" وانطلقوا بها إلى "فورت لي" حيث توجد بعض الاستوديوهات .. ومن بينها ذلك الذي يشرف عليه "ويمز" .

وقد ظن "ويمز" ان "لويين" يريد الاندماج في عالم السينما .. وخطر له ان يتخذ منه بطلا لفيلم جديد بعد ان ذاع صيته في حادث قصر الـ "جرانت" .. ولكن شد ما كانت خيبة امله عندما رأى "لويين" يتفرد بمدير الاستوديو .. ويقضي معه حوالي نصف الساعة في حديث مستفيض عن العمل السينمائي .. والأدوات المستعملة في الاستوديو ثم يقوم بجولة في أرجاء المكان للدرس والاستطلاع وكان "ويمز" مدينا لصاحب الاستوديو بأجر اسبوعين فدفعها "لويين" عنه .. كتمن للمعلومات المهمة التي حصل عليها ..

ثم انصرف بعد قليل .. وذهب لمقابلة "دافيد مور" فتلقاه الرجل مرحبا .

قال "لويين" :

- إليك مهمة جديدة .. اذهب غدا إلى "تاريتون" .. واستاجر سيارة طول النهار .. وابحث عن منزل يشرف على نهر "هدسون" .. له حديقة

فسيحة الأرجاء .. واستاجره لاقصر مدة مستطاعة .. أنا لا ابالي بالنفقات التي يتطلبها إصلاح مثل هذا المنزل .. على اني اذكر ان هناك منزلا شمال "اوسننج" كان خاليا عندما مررت بالقرية في الشهر المنصرم .. وهو منزل معقول لا يلائم أصحاب الملايين ولايستطيع افراد الطبقة المتوسطة ان يستأجروه .. لكن لاتبحث أبعد من "بيكسكيل" شمالا ولا "إيرفنجتون" جنوبا .. وإليك بعض المال للإنفاق منه إذا دعت الضرورة .. وسأوافيك إلى "تاريتون" لتوقيع عقد المنزل الذي يقع عليه الاختيار .. لكن تذكر أنني أريد منزلا يشرف على النهر مباشرة ..

الفصل الخامس عشر

عاد دافيد مور إلى فورث لي وهو يحمل قائمة تحتوي على خمسة منازل خالية في البقعة التي طلب إليه لوبيين البحث فيها . وما كاد لوبيين يطلع على العناوين ، حتى اختار قصرا عتيقا به ست عشرة غرفة .. وتحيط به حديقة مساحتها عشرون فدانا .. يطل على نهر هُدسون مباشرة .. وبه بناء صغير محجوب عن الأنظار .. وما كاد لوبيين يشاهد القصر حتى أعجب به .. وأيقن أنه يلائم أغراضه فاستأجره في التو واستقل سيارته ومعه مور وفي الطريق قال له :

- هل تستطيع أن تترك حانوتك أسبوعين .. أو أكثر ؟

فاجاب الرجل :

- الحق اني ارحب بآية فرصة تمكنني من الحركة قليلا .. فقد ضقت ذرعا بكثرة الجلوس ..

- اني اريدك ان تشرف على تنظيم القصر .. وإعداده .. إن به اثانا كافيا .. و فقط نحن في حاجة إلى الفراش .. ولكني لا أريدك أن تستعين بأحد .. بل ولا أن ترافقك أسرتك .. وفي استطاعتك أن تتباع معدتك من الحوانيت المحلية .. ولكن حذار أن تشجع البائعين على ارتياد المنزل .. هل فهمت ؟

- نعم يا سيدي ..

- ساعود إلى هنا بعد بضعة أيام .. واما أنت فينبغي أن تأتي غدا ظهرا ..

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم نفسه اوقف لوبيين سيارته امام منزل كلارك .. واستقبله الرجل بحماس كعادته .. وخلا به في غرفته

ثم اصر على ان يشاركه زجاجة من الشراب المعتق الذي صنعه
بنفسه ..

وبينما كان الرجلان يحتسيان الشراب .. سال كوين :

- هل سبق أن سالتك معروفا يا كلارك ؟

فتطلع إليه الرجل محيرا .. وقال بعد قليل :

- لا يا بني .. إنك لم تفعل ذلك حتى الآن .. وبودي أن تكل إلي أي
امر ..

وظف كوين يتحدث إلى صديقه زهاء عشر دقائق ، وكان كلارك
يقاطعه بين الفينة والفينة ..

فلما فرغ كوين من حديثه صاح الآخر :

- اتسالني يا بني أن كنت أوافق ؟ عجبا لك !! بالتأكيد إنني
موافق !!

- فقال كوين شاكرا :

- إنني جد مسرور لذلك .. عندما يعد كل شيء سأتصل بك تليفونيا
وأبعث إليك بسيارة ..

- من واجبي أن الفت نظرك إلى أن امامك عقبات كؤودة !

لكن لنفرض انها لم تتحطم كما تعتزم . فماذا يكون موقفك ؟ ..

- سيئا للغاية بغير شك .. انا لا أستطيع أن أجزم بأن هذا العمل
قانوني .. ولكني مطمئن إلى النتائج بعض الاطمئنان فإذا نجحت
الخطة قسيغفر الجمهور عن الوسائل غير المشروعة التي لجانا
إليها . وعلى أثر انصراف كوين من مقابلة كلارك ذهب من قوره إلى
الاستوديو . حيث اجتمع بالمدير فترة طويلة من الوقت أتم في خلالها
الإلام بأعمال الاستوديو .. وقبل أن ينصرف . طلب إلى المدير أن يعيره
أربعة من عماله مقابل أجر كبير ..

وبعد مساومة قصيرة . قبل المدير أن يعيره العمال المطلوبين ..

وكانوا يدعون ستافورد و كلانس و كيفلاند و ديل .
واستقل الرجال الأربعة سيارة كوين الفاخرة .. وانطلقوا جميعا
إلى المنزل الجديد الذي استأجره في تاريتون . وفي الطريق دخل
كوين مع ستافورد في حديث فني طويل .

الفصل السادس عشر

عندما عاد 'كوبين' للإقامة في قصر آل 'جرانت' ، لم يجد بين الضيوف غير 'كاترين هولاند' ، بينما رحل الباكون ، وقد حل محلهم طائفة من الشباب المرح العابث ..

وكان اللنش 'لابل اليانس' قد سحب إلى الميناء .. وتولت السلطات المسؤولة ترميمه وتفتيشه .. فأسفر البحث عن العثور على كثير من المسروقات ولكن محاكمة 'روليش' وأعوانه تاجلت لاستكمال بعض نواحي القضية ..

على أن أهم ما كان يشغل بال 'كوبين' هو إيصال رسائل 'ساتون' التهديدية إلى 'بايسون' .. ذلك لأنه كان الضيف الوحيد الذي بقي من المدعويين القدماء .. فلو أقدم على دس إحداها فربما تسربت الريبة إليه .. وقد لاحظ أن 'جرانت' زاد انكبابا على الشراب ، فشحب وجهه وتملكته الأسقام ..

واتفق ذات مساء أن شكت 'كاترين هولاند' صداعا .. فصحبها 'كوبين' في جولة بالسيارة في الهواء الطلق .. وعندما عادا أوقف 'كوبين' السيارة أمام باب القصر ريثما يفتحه ...

واتفق أن مر غريب في تلك الأثناء ، وسأل 'كوبين' عن الطريق إلى 'أهنلت هول' .. فدله عليه ..

وعندما عاد إلى الفتاة سألته :

- عم كان يسالك هذا الرجل ؟

- كان يريد أن يعرف أين تقع 'أهنلت هول' .. ولكنني اعتقد أن سؤاله لم يكن غرضه الوحيد فقد دفع إلي برسالة سألني أن أحملها إلى 'جرانت' .. شد ما أعجب لماذا لم يعط الرجل الرسالة لـ 'جرانت'

-لعله خاف أن تهاجمه الكلاب ..

وبعد أن أدخل كوبيين سيارته في الجراج .. ومضى إلى قاعة الرقص المسمى 'جرانت' في انتظاره ببيابها .. وأوما إليه براسه .. وقال في صوت متهدج من فرط الوجل :

- لقد ذكرت كاترين أن شخصا أعطاك رسالة لي ..

فأعطاه كوبيين رسالة التهديد الثالثة .. فتناولها 'جرانت' وتسلسل إلى غرفة المكتب .. وقرأ فيها ما يلي :

'لقد نجوت هذه المرة لتدخل أحد أصدقائك عن غير عمد ولولا ذلك لكنت الآن في طريقك إلى 'بيونس آيرس' على ظهر اليخت 'لابل اليانس' ولئن ساورتك الريبة . فإثر هذه المسألة في المحكمة مهما يكن فسوف أراك مرة أخرى في السابع عشر من هذا الشهر .. ليس لك غير طريق واحد للنجاة وذلك هو الاعتراف الشامل .

ف . و . س

وما كاد الرجل يقرأ هذه الرسالة حتى أغمى عليه ...

وعندما أبلغ 'تورب' هذا النبا لـ'كوبيين' علل الإغماء بشدة الحر . وطلب إلى مستر 'ديل' أن يذهب لمقابلة مستر 'جرانت' لبضع دقائق وكان أول سؤال القاه 'جرانت' على كوبيين هو :

- لعلك ميّزت ملامح الرجل الذي أعطاك الرسالة ؟

- نعم .. ولو أن الأنسة كاترين لم تره .. لأنها كانت جالسة في السيارة ..

وأخذ كوبيين يدلي بأوصاف 'فرانك ساتون' بدقة .. ولاحظ أن وجه 'جرانت' قد امتنع فسأله :

- هل عرفته ؟

- كنت أود لو رأيته .. إنها رسالة تسول . واحسب أن من واجب

البوليس إلا يدع هؤلاء المتسولين يزعمون الناس هكذا .. ما تاريخ اليوم ..

- إنه الرابع عشر .. هل أستطيع أن أصنع شيئاً من أجلك ؟ - لا .. أشكرك .

وعلى إثر انصراف كوبيين .. استدعى 'جرانت' زوجته .. وأطلعها على الرسالة . وما كادت تقرؤها حتى شحب وجهها فجأة، واتصلت بالبوليس المحلي .. وافضت إليهم بالحادث .

ولكن جميع الجهود التي بذلت لتعقب 'ساتون' ذهبت أدراج الرياح وكان 'جرانت' قد بدأ يشعر بالإطمئنان نحو كوبيين بعد حادث اللنث .. فكان يحرص دائماً على البقاء بقربه .. وبينما كان يتحدث إليه في صباح اليوم التالي .. أقبيل أحد الخدم يحمل برقية .. فأجفل 'بايسون' وخشي أن تكون رسالة تهديد جديدة .. ولكن الرجل دفعها إلى كوبيين ..

وقرأ كوبيين البرقية .. وقال :

- إن 'سويثن ويلد' يدعوني لإنفاق أسبوع في منزله الريفي ..

فتطلع 'بايسون' جرائت إلى كوبيين بنظرة المعاتب .. وأدرك أنه فقد الرجل الذي يمكنه الاعتماد عليه .. واستطرد 'كوبيين' :

إن اليوم هو الخامس عشر .. فينبغي أن أرحل غداً .. ولا يسعني إلا أن أقدم لك شكري العميق على كرم ضيافتك ..

وتذكر 'بايسون' أن الموعد الذي ضربه له 'ساتون' هو السابع عشر .. فغاص قلبه بين جنبيه .. واصفر لونه .. وقال في صوت أجش :

- من حسن الحظ أن لك مثل هذا الصديق .. وأما أنا فينبغي أن أبقى هنا طواعية أو كرها . بالله ! كم أود لو أرسلت إلي مثل هذه

الدعوة .. إنها يلاشك ترفه عن أعصابي .

- احقاً ؟! إذن سابعث إلى 'ويلد' و أنبئه بانك ستكون في رفقتي ..

فهل تستطيع أن ترافقني ..

- ليس ثم ما يعترض طريقى إذا وافق صديقك ..

وبعث كوبين ببرقية إلى صديقه "ويلد" يستأذنه في اصطحاب
مستر جرانت معه . فجاءه الرد بالموافقة .. ولم تمنع مسر جرانت
في رحيل زوجها .. فقد كانت تعلم أنه في حاجة إلى الراحة والهدوء ..
ثم إنها كانت تجد في هذه الزيارة فرصة طيبة للتفاخر والتباهي .. لأن
ويلد كان مليء بالحيوية ويُعد من شباب الطبقة العالية ...

تمت بحمد الله